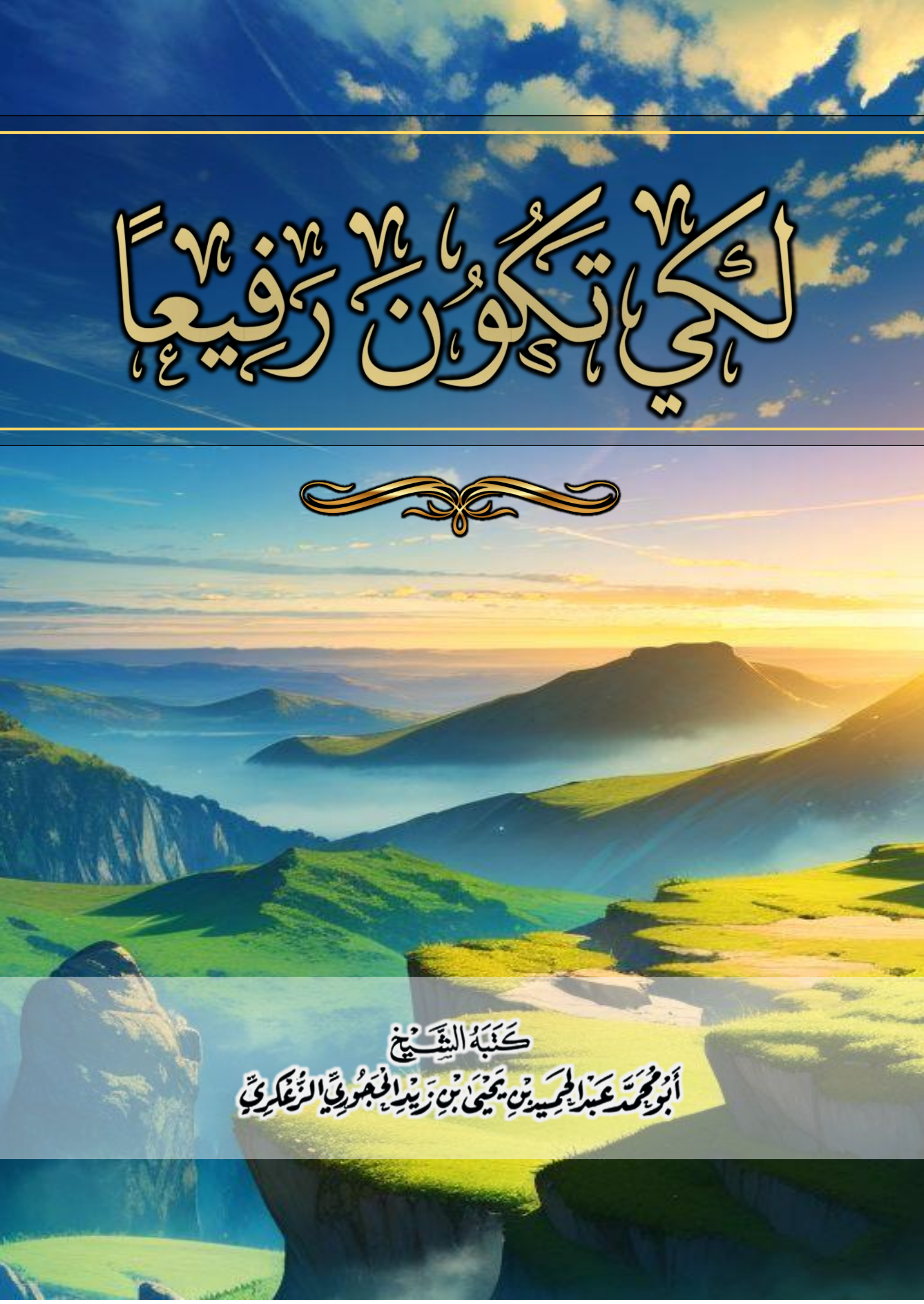
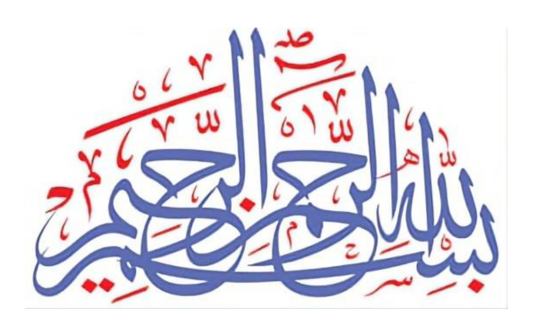

لكي تكون رفيعا
كتبه الشيخ
أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

لكي تكون رفيعًا

كتبه الشيخ

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري



لكي تكون رفيعًا

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

كتبه الشيخ

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

ففي يوم الإثنين الأول من رمضان لعام خمس وأربعين وأربعمائة وألف من هجرة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شرعت فيما عزمت عليه من السلسلة العلمية، والنصائح الدعوية التي بعنوان: **(لكي تكون رفيعًا فكن)**.

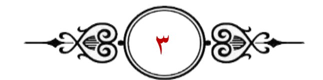
والرفعة عباد الله مطلوبة شرعًا وقدرًا، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يرفع عباده المؤمنين على غيرهم في دنياهم وأخراهم.

وجميع البشرية يتمنى أحدهم أن يكون رفيعًا على غيره، هذا يرى الرفعة في المال، وهذا يرى الرفعة في الجاه، وذاك يرى الرفعة في الجمال، وذلك يرى الرفعة في كثرة الرجال، والناس تتفاوت رؤاهم على قدر ما في قلوبهم، بينما الرفعة الحقيقية هي رفعة أهل الإيمان، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة:١١]، فهذه هي الرفعة.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»**، هذه هي الرفعة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»**، هذه هي الرفعة.

وأمور الرفعة الشرعية الموصلة إلى مرضاة رب البرية كثيرة، نجملها فيما يأتي.

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري



١- كن مسلمًا

ﮓ **أولها**: (**الإسلام**)، الإسلام عباد الله دين الرفعة، دين العزة، دين النصر والتمكين، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بشر هذه الأمة بالنصر والعز والسنا والرفعة والتمكين**»، فهو دين عظيم، يُرفع أهله على غيرهم في دنياهم وأخراهم.

فلا يقتل مسلم بكافر، والمسلم خير من ملء الأرض من الكافرين، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [سورة القلم:٣٥-٣٦].

دين الإسلام الذي أمتن الله به على الأنام، فأعرض عنه أكثرهم، وصاروا أسوأ من الأنعام، فعليك أن تأخذ به، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥]، ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [سورة الحج:٧٨].

إبراهيم يوصي أبناءه بالإسلام، ويعقوب يوصي أبناءه بالإسلام، وموسى يدعو بني إسرائيل إلى الإسلام، وعيسى يدعو الناس إلى الإسلام، وآخرهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى هذا الدين العظيم وإلى هذا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، لا يدخل الجنة إلا المسلمون، لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ عملًا إلا أن يكون مسلما، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧]، وهذه ألفاظ يدخل فيها أهل الإسلام، نعم عباد الله.

فإذا أردت أن تكون رفيعًا فاحذر أن تكون يهوديًا أو نصرانيًا، أو مجوسيًا، أو بوذيًا، أو رافضيًا، أو باطنيًا، أو عابد قبر من أي طائفة كانت، بل كن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم: ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:٦٧]، وكن

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

إذا أردت أن تكون رفيعًا فتمسك بهذا الدين العظيم، دين الله في الأرض والسماء، دين الإسلام، الذي أرسل الله عَزَّوَجَلَّ به الرسل، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ به الكتب، وشرع الله عَزَّوَجَلَّ من أجله الجهاد، وأكرم الله عَزَّوَجَلَّ أهله في الدارين: في الدنيا والآخرة.

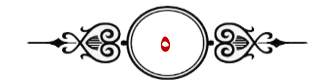
المسلمون شأنهم عند الله عظيم، ولكن أكثرهم لا يعلمون هذا الأمر، ولذلك يفرطون ويضعفون، ويكسلون ويفترون، ولو علموا عظيم رفعة الإسلام لأهله؛ لما كسلو.

الإسلام جعل بلال الحبشي من سادات الأمة، وجعل صهيب الرومي من سادات الأمة، وجعل ثابت بن قيس بن شماس الذي كان ذميم الخلقة من المبشرين بالجنة، الإسلام كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يهدم ما قبله**»، من الذنوب والمعاصي إذا حققه الإنسان على الوجه المطلوب.

الإسلام يعصم الدم والمال والعرض، «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**».

الإسلام سبيل الوصول إلى دار السلام، كما جاء في عدة من الأحاديث: يا رسول الله أرأيت إن صمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك، أأدخل الجنة؟ قال: «**نعم**»، وفي الحديث الآخر: «**أفلح إن صدق**»، دلني على عمل أدخل الجنة، «**تعبد الله، لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصل الرحم**».

الإسلام شأنه عظيم، لا يبقى في النار من أهله أحد، عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحجر:٢]، يأذن الله عَزَّوَجَلَّ بالشفاعة،

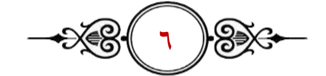


فيخرج من كان من أهل الإسلام من النار، ولا يبقى إلا الكفار الذين وجب عليهم الخلود.

فاعرفوا عظمة الإسلام، تُرفعوا في الدنيا والآخرة، وعظموا الإسلام، تعظمون في الدنيا والآخرة، وخذوا بالإسلام، يأخذ بكم الله عَزَّوَجَلَّ إلى دار السلام، وإلى جوار السلام، وإلى عظيم الإنعام والإكرام.

وقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طائفة من المسلمين أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف كما يتراءى الكوكب الدري الغابر في السماء، رفعة لأهل الإسلام، بخلاف أهل الكفر والإجرام، فإنهم في الدرك الأسفل من النار، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥]، والله المستعان.





٢ - كن موحدًا

لكي تكون رفيعًا: في الدنيا والآخرة يتعين عليك أن تكون موحدًا، فإن التوحيد هو حق الله على العباد، خلقهم له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، أرسل الرسل به: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، أنزل الكتب للدعوة إليه والقيام به: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد:٢٥].

شرع الجهاد؛ لإعلائه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التوبة:٢٩].

فهو حقه الحتم المقدم، سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إلى ما تدعو؟ قال: «**إلى الله، والرحم**»، يدعو إلى توحيد الله، وإلى إفراده بما يجب له.

فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلقنا ورزقنا وأوجدنا، فهو المستحق أن يُعبد، فلا يُشرك معه غيره، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا.

وقد اتفقت الشرائع جميعها في الدعوة إلى التوحيد، وأول ما بدأ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعوة إلى التوحيد، كان يقول لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»، أي: إلى أن يعتقدوا التوحيد، فإذا اعتقدوا التوحيد وعملوا بمقتضاه حرمت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، إلا بحق الإسلام.

التوحيد هو الحسنة العظيمة التي لا تبطلها سيئة إلا الشرك، وإلا مهما فعل الإنسان من المعاصي والسيئات وهو ملازم للتوحيد فشأنه في الآخرة إلى الجنة، إما

ابتداءً وإما مآلًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله صدقًا من قلبه حرمه الله على النار**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة**»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**».

ويدخل الإنسان في الإسلام بالتوحيد، وأُمر أن يخرج من الدنيا بالتوحيد: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**لقنوا هلكاكم لا إله إلا الله**»، وقد دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عمه أبي طالب وهو في سياقة الموت، فقال: «**قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**»، لو قالها لسلم من النار، ولكنه أبى أن يقولها.

دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غلام من اليهود وهو في سياق الموت، قال: «**قل لا إله إلا الله**»، فالتفت إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فقال: لا إله إلا الله، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجل من الأنصار وهو في سياق الموت، فقال: يا خال أو قال: يا عم قل: لا إله إلا الله»، قال: خير لي؟ قال: «**نعم**»، فقالها.

التوحيد شأنه شأن عظيم، اتفقت عليه جميع الرسل، ودعت إليه جميع الديانات، وهو دين الله في السماء والأرض.

التوحيد أن تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق والملك والتدبير، وتفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، فصلاتك وصيامك وحجك وجميع ما طُلب منك لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

أول أمر في القرآن الكريم الدعوة إلى التوحيد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١]، وأول نهي في القرآن الكريم

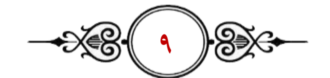
التحذير مما يناقض التوحيد، وهو الشرك والتنديد: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٢].

عباد الله: هذه عبادة جليلة، أكرم الله بها أهل الإسلام، في كل عصر ومصر وأوان، فخلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم، وكان الناس على التوحيد عشرة قرون، لم يدخل عليهم الشرك والتنديد، كما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم جاء الشيطان لبني الإنسان لإضلالهم؛ لعلمه أنهم وإن عصوا وهم مع التوحيد فهم إلى خير، إلى مآل طيب، إلى مغفرة وتجاوز، أو إلى تعذيب ورحمة بعد ذلك.

فأدخل عليهم الشرك، وكان مبدؤه تصوير ذوات الأرواح لبعض الصالحين، ثم اجتمعوا عليهم يتذكرون عبادتهم، ثم لما فني الجيل الأول وجاء الجيل الثاني أمر بعبادتهم، فدعوهم من دون الله، ورجوهم من دون الله، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾ [سورة نوح:٢٣-٢٤].

التوحيد عباد الله أعظم حسنة، جاء عند الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**يخلص رجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، يُؤتى بتسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، فيقول له الله عَزَّوَجَلَّ: هل ظلمك كتبتي؟ قال: لا يا رب، قال: هل عندك من حسنة؟ قال: لا، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له: عندك هذه الحسنة، فتخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله، قال: يا رب، وما تُغني هذه البطاقة أمام هذه السجلات؟**».

انظروا عباد الله إلى عظيم الشأن، رجل مذنب، مشرف على نفسه، تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ليس فيها حسنة واحدة، كلها سيئات، كلها معاصي، كلها موبقات، ولكنه حقق التوحيد، فعند ذلك قال الله له: «**لا ظلم اليوم، فتوضع السجلات في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، فتطيش بتلك السجلات، ولا يثقل مع اسم الله شيء**»، لا يثقل مع التوحيد شيء.



قد أخرج الإمام أحمد أيضًا عن عبد الله بن عمرو: أن نوح عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ أوصى ولده بلا إله إلا الله، وقال له: «**لا إله إلا الله، لو كانت السماوات والأرض في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو كانت السماوات والأرض حلقة واحدة لقصمتهن لا إله إلا الله**».

وقال النبي صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَسَلَّمَ: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»، فإذا أردت أن تكون رفيعًا فعليك أن تحقق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو الواجب الحتم والواجب الأول، ولا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ عملًا من عامل إلا إن كان من أهل التوحيد، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة:٥].

ما أكرم الموحدين على الله حين يتقاذع أهل المعاصي في النار، يشفع النبي صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَسَلَّمَ، ويشفع النبيون، ويشفع الملائكة، ويشفع المؤمنون، ثم يقول الرسول صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَسَلَّمَ: «**يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي، وعظمتي وكبريائي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**».

فيخرج الله عَزَّوَجَلَّ قومًا من النار بغير عمل عملوه، ولا خيرا قدموه، أي: غير التوحيد، فيُلقَون في الجنة، فيأمر بصب ماء الحياة عليهم، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ويُختم عليهم هؤلاء عتقاء الله.

بالتوحيد سلموا من الخلود في النار، بالتوحيد رفعوا في الجنة الدرجات، بالتوحيد سلمت أنفسهم في الدنيا، بالتوحيد عاشوا وماتوا فأكرموا.

أول ما تُسأل عنه في قبرك أيها المسلم هو التوحيد: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فإن كنت موحدًا أجبت، وإن كنت مشركًا منددا قلت كما قال ذلك: ها ها لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تلوت.

التوحيد هو المقياس بين المسلمين والكفار، بين المؤمنين والفجار، التوحيد هو دين الله العظيم، فعلينا أن نحقق هذه العبادة الجليلة.

وقد كثر المعارضون لها والمخالفون لها، من أهل الكفر المعروفين من اليهود والنصارى والمجوس ومن إليهم، ثم أُدخلت عبادة القبور على كثير ممن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فعلى الإنسان: أن يحذر على نفسه من مخالفة التوحيد، اجعل دعاءك لله، نذرك لله، حبك لله، خوفك لله، رجاءك في الله، طمعك في الله، لا تصدق كاهنا، ولا ساحرًا، ولا مشعوذًا، ولا عرافًا، ولا تشد الرحل إلى قبر، حقق التوحيد تدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن قومًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فخاض الناس في ذلك، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»، أي أنهم حققوا التوحيد ظاهرًا وباطنًا، فكان شأنهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء.

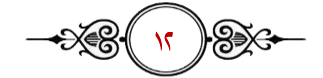
كثير من المشركين كانوا يعتقون، وكانوا يصلون الأرحام، كانوا يحسنون إلى الجيران، كانوا يصدقون الحديث، كانوا يتصدقون، لم ينتفعوا بذلك كله؛ لأنهم لم يحققوا التوحيد، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابن جدعان يا رسول الله كان يعتق الأرقاء ويطعم الناس، قال: «**هو في النار، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

ولا بد من دراسة التوحيد والاهتمام بذلك، إياك أن تزهد أو تصدق من يقول: التوحيد يمكن أن نقرأه في خمس دقائق أو عشر دقائق، التوحيد دعا إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعثه الله، وإلى أن قبضه الله، بعثه الله يقول: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، ومات وهو يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات**».

يدعو إلى التوحيد بلسان الحال والمقال، ويقول: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»؛ صيانة لجناب التوحيد، وكم هي الأمور التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ؛ صيانة لجناب التوحيد! حرم تصوير ذوات الأرواح، حرم شد الرحال إلى القبور، حرم تشييد القبور، حرم أمورا كثيرة؛ صيانة لجناب التوحيد.

بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أصحابه حين كانوا يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، قال: «**قولوا: ما شاء الله وحده، أو قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد**»، والله المستعان.



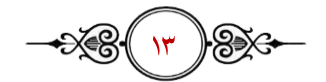


٣ - كن سنيًا

ﮪ **لكي تكون رفيعًا:** كن سنيًا، آخذًا بهدي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وطريقته؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة له، موافقة لهدي رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولذلك كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول في خطبة الجمعة: «**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، إلى غير ذلك مما كان يقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد حض الله في القرآن على الأخذ بالسنة، فقال عز من قائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء:٦٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة المائدة:٩٢] في مواطن من كتابه، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء:٨٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب:٣٦].

إلى غير ذلك من الآي العظيم الحاث على متابعة النبي الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٣]، وكقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:٣١]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].



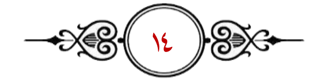
فيتعين على العباد متابعة النبي ﷺ في عباداته، وفيما هو من شأن الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، ما لم يكن من خصوصياته ﷺ.

عباد الله: السنة رغَّب فيها النبي ﷺ، وقال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»، السنة وصى بها النبي ﷺ أصحابه وأمته، كما قال العرباض بن سارية: كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وهكذا قال النبي ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».

قال ذلك حين عزم بعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على التفرغ للعبادة لكن بصورة لم تكن عن النبي ﷺ، قال أحدهم: لا أتزوج النساء، وقال آخر: لا أنام الليل أبدًا، وقال الثالث: أصوم النهار أبدًا، قال النبي ﷺ: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟**»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».

السنة كان الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يؤمرونها على أنفسهم؛ لعلمهم بأهميتها، ولذلك سئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القصر في السفر، فقال: صليت مع النبي ﷺ في منى ركعتين، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، وسئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن متعة الحج، مع أن أباه كان ينهى عنها، فقال: تمتعنا مع رسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

وهكذا في جميع شأنهم كانوا يردون أعمالهم وأفعالهم وما هو من شأنهم في باب الطاعة والعبادة إلى سنة النبي ﷺ، حين طالبت فاطمة بنت محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصلى الله على أبيها بميراثها من أبيها ظنَّت، قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«لا نورث، ما تركناه صدقة، وإني أخشى إن غيرت شيئًا مما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أريغ»**.

كانوا يعملون بالسنة، ويعظمون شأن السنة، ويكرهون مخالفة السنة؛ لعلمهم بضرر ذلك، ولا يلتفتون إلى عبادة عابد ما لم تكن موافقة للسنة، والآن كثير من الناس يغترون بمن رأوه عابدًا، أو رأوه صانعًا بعض الأعمال الصالحة مع مخالفته للسنة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى كلامه: **«لا يغرنك زحام الناس على أبواب المساجد، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، حتى ترى موافقتهم للسنة»**.

انظر لا تغتر بالزحام على باب المساجد، ولا تغتر بكثرة الملبين من الحجاج والعُمَّار حتى ترى موافقتهم للسنة.

والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ سمع أحدهم يقول: لا تغتر بفلان، وإن صلى على الماء حتى يكون موافقًا للسنة، قال: قصّر هذا، لا تغتر به، ولو طار في الهواء، حتى ترى موافقته للسنة.

والزُهري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أدركت كثيرًا من علماء المدينة يقولون: التمسك بالسنة نجاة، وسفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: وجدنا الأمر كله في الاتباع.

فلا بد لمن أراد أن يكون رفيعًا في دنياه وأخراه أن يكون متمسكًا بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معظمًا لها، داعيًا إليها، عاملًا بها، قاليا لمن خالفها.

ومما يدل على الرفعة في هذا الباب: أن رجلا دخل بيته فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم خرج وجعل يبكي، فقال: يا رسول الله، ذكرنا إذ نكون يوم القيامة، وترفع في الدرجات العُلا، بمعني الحديث، ولا نصل إليك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [سورة النساء:٦٩]، **«والمرء مع من أحب»**.

الرفعة في الدنيا والآخرة لمن اقتدى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأسى به، ألم يقل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [سورة الشرح:١-٤]، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رفع الله ذكره، وهكذا رفع الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر من أخذ بسنته، واقتفى أثره، وسار على سيره، فالمرء مع من أحب، في الأجر إن شاء الله، وفي الرفعة، وفي كثير من الشأن، يضاف إليه إن كان محبًا له آخذًا به.

ولذلك سموا أهل السنة بهذا الاسم؛ لأخذهم بالسنة، فمُيزوا على غيرهم في الدنيا بإضافتهم إلى سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه غاية الرفعة، ذاك يضاف جهميًا، وذاك رافضيًا، وذلك قبوريًا، وذلك معتزليًا، وذلك أشعريًا، والمسلم المستقيم على الكتاب والسنة يُسمى سنيًا؛ لأنه أخذ بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعظم سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ووالله لو عاد الناس إلى سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأيتم هذا الضعف في المسلمين، وإنما سُلط عليهم الضعف حين بعدوا عن التمسك بالكتاب والسنة، وتعظيم الكتاب والسنة.

نعم عباد الله، فلنعظم هذا الباب، ولنجعله حكمًا على أقوالنا، على أفعالنا، على معتقداتنا، على صلواتنا، على حجنا وصيامنا، على زكاتنا، على جميع شأننا، الحكم هو سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعرض كل قول أو فعل أو اعتقاد عليها، فإن قبلته فنحن منها، وإن ردته فلسنا منها، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وفي المتفق عليه: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

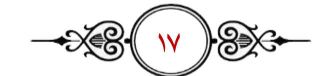
نعم، وهكذا كان السلف الكرام والأئمة الأعلام، وفي المناظرة التي وقعت بين بعض الخلفاء وبعض العلماء مع وجود بعض المبتدعة قال العالم السني للبدعي: أيسعك ما وسع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر؟ ثم جعل يقول: لا وسع الله



على من لم يسعه ما وسع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر، وجعل الخليفة يرددها.

فهكذا علينا أن نعظم هذا الباب، ونأخذ به، ونكون متعلمين له، ونكون منقادين له، هذا باب عظيم، باب كريم، قد خلق الله عَزَّ وَجَلَّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصطفاه لرسالته ونبوته، وفضله على جميع الخليقة، وزكاه، ورفع له ذكره، فلا أفضل من التأسي به، والسير على سيره، والأخذ بطريقه، والمحبة له، والرضا بما كان منه، لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، نعم، عباد الله، فنسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.





٤ - كن مصليًا

لكي تكون رفيعًا: كن مصليًا، فإنها أوجب العبادات البدنية، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا**».

ولما كان العبد يتواضع لربه، ويضع وجهه في الأرض، كان بها رفيعًا، وعند الله عَزَّوَجَلَّ مقربًا، وكان من المفلحين، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها وحض، وبين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عظيم شأنها: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**».

وهكذا «**إذا خرج إلى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا تنهزه إلا الصلاة إلا كانت خطواته إحداها ترفع درجة، والأخرى تحط خطيئة، فإذا دخل المسجد فهو في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما لم يحدث فيه**».

فلا أنفع للعبد بعد توحيده - أو قل: مع توحيده - مثل الإتيان بالصلاة، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

فمن أعظم أسباب رفع الدرجات وحصول الحسنات والمكرمات للعبد هو المحافظة على الصلاة، لا سيما حيث ينادي بها، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾

[سورة النور:٣٦-٣٨].

الصلاة عباد الله افترضها الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الأمة حين عُرج بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، الصلاة فرضها الله خمسين، ثم تفضل وجعلها خمسًا في العدد وخمسين في الفضيلة.

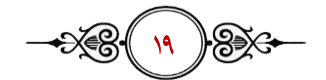
الصلاة عباد الله لعظيم شأنها لا تسقط عن العبد إلا بموته أو بعجز تام، حتى أن بعض أهل العلم يقول: إن عجز بجوارحه أشار بعينه، وبعضهم ربما قال: صلى بقلبه، فلا عذر لأحد في تركها، لا في حال سفر، ولا في حال حضر، ولا في حال صحة، ولا في حال مرض، ولا في حال انشغال، تتعين على العباد، ولها أحكام لكل ظرف من ظروفها، «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب».

فرض الله عَزَّوَجَلَّ الصلاة على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعًا، وفي الخوف ركعة، فلا يصلح من مسلم أن يكون مضيعًا لهذه العبادة الجليلة، عبادة الصلاة، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة النور:٥٦].

إقامة الصلاة يُمدح أهلها، ويرفع أهلها، وتضييع الصلاة يذم أهلها، ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة مريم:٥٩-٦٠]، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الشرح:١-٤٤].

الجنة درجات يرفع فيها المصلون، والنار دركات يوضع فيها تارك الصلاة، ولهذا جاء في الحديث: أن تارك الصلاة يكون في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، وذلك؛ لأنه وضع نفسه وترك هذه العبادة الجليلة، عبادة الصلاة، التي قال عنها عمر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

فراجع نفسك أيها المسلم مع هذه العبادة، إن كنت مصلًا انظر كيف تصلي؟ هل تصلي كما صلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هل تصلي في المسجد؟ هل تصلي في الوقت؟ وإذا كنت ضعيفًا في ذلك فتعلم كيف تصلي؟ وأين تصلي؟ وأحكام هذه العبادة



الجليلة، فإن النبي ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، «**ارجعوا إلى أهليكم وأقيموا فيهم، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكبركم**».

صلى النبي ﷺ حين جُحِش على جنبه، وصلى النبي ﷺ حين مرض جالسًا، وكانت أكثر صلاته بالليل قائمًا، حتى ضعف فجعل يصلي جالسًا.

الشاهد من هذا: أن الصلاة شأنها عظيم؛ لرفعة الدرجات، ولعظيم الهبات.

ولمحبة الله لها؛ فرضها في كل يوم خمس مرات، استوعبت جميع الأوقات: وقت القيام من النوم يصلي الفجر، ووقت الانتهاء من الأشغال والعودة يصلي الظهر، ووقت الفراغ من القيلولة ونحوها يصلي العصر، وعند غروب الشمس يصلي المغرب، وعند غياب الشفق يصلي العشاء.

وبين ذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ للأوابين أوقاتًا للصلوات، فتجد من يصلي الضحى بين طلوع الشمس وبين الظهر، ومنهم من يصلي الليل بين العشاء وبين الفجر، بين مستقل وبين مستكثر، وذلك لعظيم شأن هذه العبادة، ولأنها من أعظم أسباب الرفعة والبعد عن الضِّعَة.

فارفع نفسك في دنياك وأخراك بالصلاة، كما تقدم في الحديث: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»، والله المستعان.



٥ - كن سلفيًا

لكي تكون رفيعًا: كن سلفيًا، في عقيدتك، في صلاتك، في توحيدك، في معاملتك، لأن السلف رَضِوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان - قد سلكوا خير المسالك، ولهذا أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بمتابعتهم، قال عز من قائل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠].

فإذا أراد الإنسان أن يكون رفيعًا فعليه أن يتأسى بأهل الرفعة، وأرفع البشرية محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، رفع الله له ذكره في الدنيا، ورفع الله شأنه في الآخرة، حتى قال: «سلوا لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو»، ونحن نرجو له ذلك صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهكذا رُفع أصحابه في الدنيا بذكرهم، والترضي عليهم، والدعاء لهم، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل، وهكذا رفع أتباعهم، حتى قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خيركم قرني، ثم الثاني، ثم الثالث»، وفي رواية: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠].

فالسبب الذي جعل كثيرًا من الأمة يعودون من الرفعة إلى الضعة ومن النصر إلى الهزيمة ومن العز إلى الذل؛ هو مخالفة منهج السلف الكرام والأئمة الأعلام، خالفوهم في باب التوحيد، فبدلًا من أن يصرفوا العبادة لله صرفوها للقبور

والمقبورين، وبدل أن تسوى القبور بالأرض عظموها وبنوا عليها القباب، وصوروا التصاوير، ونذروا النذور لهذه الأمور التي تخالف وتناقض التوحيد.

وهكذا في باب الأسماء والصفات عطلوا الله من أسمائه وصفاته، أو مثلوا الله بمخلوقاته، فانحرفوا انحرافًا كبيرًا في باب الأسماء والصفات، أدى ببعضهم إلى التعطيل، وأدى ببعضهم إلى التمثيل، وبسبب هذا حصل من الضرر على الأمة ما الله به عليم، حصلت الفتن في الأمة، وعادت من الفتوحات إلى القهقرى.

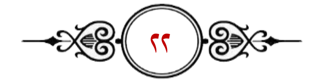
كان في زمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين، وهكذا في أغلب زمن بني أمية، حيث كان الناس على سلفية، وعلى سنة، وعلى استقامة في باب العقيدة، الفتوحات بلغت الأمصار، بلغت الفتوحات في عهد بني أمية إلى أقصى الهند والسند، وأفغانستان، وما إليها، وبلغت إلى أقصى الغرب، إلى الأندلس وما إليها.

فلما تولى من تولى بعد ذلك في زمن المأمون ومن إليه من الخلفاء الذين دخلت عليهم البدعة تقهقرت الفتوحات، وحصلت الفرقة بين المسلمين، وحصل الشر العريض، وحصلت الانقلابات، وحصل ما يَندى له الجبين.

عباد الله، إنه لا رفعة لنا ولا عزة لنا ولا مكنة لنا إلا أن نعود إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [سورة النور:٥٥].

إن السلف الصالح رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ اختارهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعلمه بهم، إن السلف الصالح رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ كانوا من السباقين إلى الخيرات رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، إن السلف الصالح رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ كانوا من التائبين، إن وقع أحدهم في ذنب أو معصية يبادر إلى ذلك.

إن السلف الصالح رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ كانوا أحرص الناس على علم وعلى خير وعلى مكرمة، إن السلف الصالح رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أخبر الله أنه رضي عنهم وأنهم رضوا عنه،



بخلاف الخلف الذين يخالفون السلف في العلم والعمل، والمسارعة والمسابقة، والانقياد والإخلاص، والمتابعة، وكثير من الأمور.

فعظموا السلفية يعظمكم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وارفعوا السلفية يرفعكم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتأسوا بالسلف تكونون معهم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإن المرء مع من أحب، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ونحن إذ نقول: السلف يتبادر إلى الذهن أولًا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأبو بكر وعمر، ومن إليهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهذا الاسم ليس بالجديد، بل هو اسم قديم، فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول لفاطمة: «**فإنه نعم السلف لك أنا**»، فالمراد بالسلف: المتقدم، فنحن إذ نقول: عليكم بالسلفية أي: بدين المتقدمين، نبدأ بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن أخذ بطريقته من الصحابة والتابعين.

بها نُرفع بعد عون الله عَزَّوَجَلَّ بها، ننصر بعد نصر الله عَزَّوَجَلَّ بها، نمكّن بعد تمكين الله عَزَّوَجَلَّ، بها تُرفع عن هذه الأمة ما حصل عليها من الفرقة، ما حصلت الفرقة إلا بسبب البعد عن السلفية، ما حصل التحزبات ما حصل التشبه بالكافرين، ما حصل الربا، ما حصل الزنا، ما انتشرت الخمور والمخدرات، وغير ذلك من البلايا والرزايا التي نعاني منها إلا بسبب البعد عن السلفية دينًا وعقيدة وعبادة وعملًا.

وإذ نقول: السلفية هي الكتاب والسنة، ما كان في الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح فهو السلفية، وما كان خلاف الكتاب والسنة ولم يكن على مذهب السلف الصالح فليس بسلفية، ولو قال به من قال.

فأولئك يا عباد الله أناس نظر الله إليهم، فاختارهم، واصطفاهم، واجتباهم وقربهم، ووعدهم بالجنة وهم يمشون على الأرض، نحن الآن في آخر الزمان لو



نجتمع من بأقطارها لا نستطيع أن نشهد لواحد بالجنة، وإن كان مصلًّا، وإن كان صائمًا، وإن كان مزكِّيًا، لكن نرجو للمسلمين ونخشى على المسيئين.

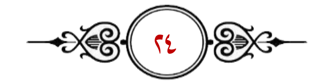
أما أولئك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبشرهم بالجنة وهم يمشون على الأرض، حتى قال ابن عباس لبعض جلسائه: تلك المرأة السوداء من أهل الجنة، مرأة سوداء مسكينة، كانت تُصرع كثيرًا، تمرض كثيرًا، لا مال، لا جمال، لا عافية، لا قبيلة، لا شيء، امرأة سوداء تصرع كثيرًا من المرض، ومع ذلك قال ابن عباس: تلك المرأة السوداء من أهل الجنة.

ودخل عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مجلسًا، فقال أحدهم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، وثابت بن قيس بن شماس بعد دمامة خلقته قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو من أهل الجنة**»، وبلال بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو من أهل الجنة**»، عبد حبشي يُباع ويشترى، لولا أن الله منَّ عليه بأبي بكر الصديق اشتراه فأعتقه، فصار من أهل الجنة.

وقبل ذلك ذروتهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومن إليهم من زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بقية الأمة، بشرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، بتبشير الله لهم، بسبب أنهم سارعوا إلى الخير، وبادروا إلى الخير.

ونحن، ما هناك فرق في الخلقة، إلا أنهم ربما في زمن لا يتوفر لهم ما توفر لنا، فعندنا الكهرباء، وعندنا أدوات النقل من السيارات، وعندنا المكيفات والمبردات، وعندنا السعة في الأموال، ومع ذلك سبقونا بحسن الحال، بحسن العبادة، بحسن الطاعة.

فتشـــبهوا إن لـــم تكونـــوا مـــثلهم ... إن التشـــــبه بـــــالكرام فـــــلاح



أولئـــك آبـــائي فجئنـــي بمـــثلهم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجـــاميع

فنحن إذا نذكر السلف، ندعو إلى التأسي بهم، والأخذ بطريقهم، والسير على سيرهم، وإن وقعنا في تقصير والتقصير حاصل نتوب إلى الله، كلنا مذنب، لا تظن أن المذنب فقط ذلك، ربما أنا مذنب، وهذا مذنب، وذاك مذنب، لكن الفرق بين الذنبين: أن كثيرًا من الناس لا يتوبون ولا يؤوبون ولا يرجعون، هذا هو الإشكال، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قال الله: إنكم تخطئون بالليل والنهار، ولا يغفر الذنوب إلا أنا، فاستغفروني اغفر لكم»**.

إذًا الخطأ على الجميع، التقصير في الجميع، الفتور في الجميع، لكن الصالح هو الذي يتوب ويؤوب ويرجع إلى علام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.





٦ - كن ذاكراً لله

۞ **لكي تكون رفيعًا**: كن ذاكرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الذاكر لله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا يذكره الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٥٢]، وفي الحديث القدسي: «**وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم؟ وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله**»، ولما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضل الذكر وعظيم عطاء الله عَزَّوَجَلَّ لأهله قال الصحابة رَضِوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ: يا رسول الله، إذاً نكثر، قال: «**الله أكثر**».

فما دمت ذاكراً لله فأنت في خير، وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»، وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أسألك لسانًا ذاكرًا**»، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه.

وامتدح الله الذاكرين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة آل عمران:١٩١]، وشرع شرائع لذكره ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [سورة البقرة:٢٠٣]، ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [سورة الحج:٢٨]، ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

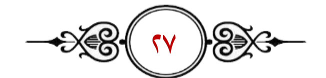
فشرع الله الحج لذكره، والصيام لذكره، والصلاة لذكره، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه:١٤]، وهكذا جميع العبادات شرعت لإحياء هذه الشعيرة العظيمة، شعيرة الذكر، فأنت مع الله ما دمت ذاكراً له، شاكراً له، مثنيًا عليه.

وهو من أعظم العبادات، بل هو أعظم العبادات؛ لأن ما من عبادة إلا والذكر فيها، تدخل الصلاة بالذكر وتمضي فيها بالذكر، وتخرج منها بالذكر، وتبدأ بعد السلام بالذكر، وهكذا أذكار عند الخروج من المنزل، وعند الدخول، وفي الصباح، وفي المساء، وعند السفر، وعند العودة، وفي جميع الشؤون، يعود الإنسان نفسه على ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال رجل: يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثرت علي، فمرني بأمر أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»، عود نفسك أن اللسان يبقى رطبًا بذكر الله، من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وغير ذلك من الأذكار العظيمة التي يتحصل بها المرء على الأجور الكثيرة بدون كلفة، «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»، و«**أفضل الذكر: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة**»، إلى غير ذلك من الأذكار الكثيرة التي كان النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يلزمها، ويحث عليها ويرغب فيها.

فاذكروا الله وأكثروا من ذكره يذكركم، كفى به شرفا أن تذكر الله عَزَّوَجَلَّ في أهل الأرض فيذكرك في أهل السماء، كفى به شرفا أن تذكر الله أيها المخلوق فيذكرك وهو الخالق المالك المتصرف، الغني الحميد، وإذا ذكرك وفقك وسددك وأعانك، ودفع عنك، ويسر لك العسير، وقرب لك البعيد، ورفع عنك الشدة، فاذكر الله، وأبشر من الله بعظيم العطاء وعظيم الهبات.

اذكر الله في شدتك تنجلي، اذكر الله في رخائك يثبت ويبقى ويستمر، اذكر الله في خوفك تأمن، اذكر الله في خوفك تطمئن، اذكر الله على جميع أحوالك، ما دمت غير



منشغل بشيء اذكر الله، بتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل، ومن أفضله قراءة القرآن، وهكذا كل ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الحديث الذي يحسنه بعض أهل العلم: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم: أن الجنة قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن مما تذكرون الله به من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ينعطفن حول العرش، أولا يحب أحدكم أن يكون له ما يُذَكَّر به**»، أنت تذكر بنفسك حين تذكر الله، وإلا فإن الله غني عنك، وإلا أنت تذكر بنفسك.

ذكر الله من أسباب الأمن والطمأنينة والفرج بعد الشدة، انظر إلى يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في لجة البحر في ليلة مظلمة، ودخل في بطن الحوت المظلم ذكر الله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧] فإذا بفرج الله ينزل عليه، ويخرج من ذلك الحوت سليما، ثم جعل الله عليه شجرة من يقطين، حتى عوفي مما وقع به، ثم عاد إلى قومه، ودخلوا في الإسلام، خرج مغاضبا لهم؛ لبعدهم عن الإسلام، فذكر الله فسلمه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأسلم قومه، ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ [سورة الصافات:١٤٣-١٤٤].

فيا عباد الله اذكروا الله كثيرا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [سورة الأحزاب:٤١-٤٢]، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [سورة الروم:١٧-١٨]، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى:١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [سورة التغابن:١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ [سورة الحديد:١]، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء:٤٤].

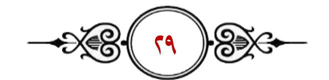
ذكر الله شيء عظيم، تخلق به المؤمنون، تخلق به المسارعون إلى الطاعات، فرأوا عظيم المكرمات، في دنياهم قبل الممات، أي والله أن الذاكر لله كثيرا يرى عظيم الهبات في الدنيا قبل الممات، ولذلك يقول الله عزو جل: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، تجاوز عن الذنوب، وأجور عظيمة مضاعفات.

أين تجد مثل فضيلة الذكر؟ قال الصحابة رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ – أي الفقراء منهم-: يا رسول الله سبق أهل الدثور بالأجور، والدرجات العلى والنعيم المقيم، فذكروا له من أموالهم ما وصلوا به إلى مرضاة ربهم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟**» ثم قال: «**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم به من بعدكم، وأدركتم به من سبقكم، ولا يأتي أحد بأفضل مما جئتم به إلا رجل قال مثل ما قلت أو زاد؟ تسبحونه وتحمدونه وتكبرونه دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين**».

فماذا تقول في فضائل الذكر؟ وهو مطردة للشيطان، وهو يرضي الرحمن، وهو سبب للرفعة والسلامة من الهوان، وهو سبب لطمأنينة القلوب، وانشراح الصدور، وزوال الهموم، وذهاب الغموم، وشفاء الأسقام، ورفعة الدارين.

جعله الله عَزَّوَجَلَّ كلام أهل الجنة، يُلهمون التسبيح كما يُلهمون النفس في الدنيا، والملائكة امتن الله عليهم وامتدحهم بالتسبيح، منهم المسبحون ومنهم الصافون، ومنهم من يكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، سخره الله لذلك.

فتشبهوا بارك الله فيكم بأنبياء الله ورسله، الذين كانوا يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وكانوا يذكرون الله على كل أحيانهم، وأعظمهم رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنكم إذا فعلتم ذلك وجدتم البركات العظيمات لهذه العبادة الجليلة.



تعلقت ألسنتنا بذكر غير الله عَزَّوَجَلَّ فحرمنا الكثير من الخيرات والمبرات، بينما لو انشغلنا بالذكر عن غيره من الأمور والسفاسف لرأينا البركات العظيمات، والهبات الجليلات، من رب الأرضين والسموات.

فإن استجابة الدعاء في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، قالت أم سليم: يا رسول الله علمني كلمات أدعو الله بهن، قال: «**تسبحين عشرًا، وتكبرين عشرًا، وتحمدين عشرًا، ثم تسألين حاجتك، فإنه يقول: قد فعلت، قد فعلت**».

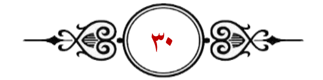
وكم هي الأذكار التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ في اليوم والليلة، وفي الصلاة والحج، وفي الصيام والزكاة، وفي جميع الأحوال؛ حتى يستوعب الذكر جميع أحوال الإنسان، وهو خير مُدَّخر.

وخيـــر مـــا يـــدخر الإنســـان في دنيـــاه كيمـــا يســـتقم دينـــه
قلبـــا شـــكورا ولســـانا ذاكـــرا وزوجـــة صـــالحة تعينـــه

ومن أعظم الذكر الثابت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما جاء عن جويرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تذكر الله، فخرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاد، قال: «**ما زلت على الحال التي تركتك عليها؟**» قالت: نعم، قال: «**أما إني قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لرجحت بهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته**».

انظر إلى هذا الذكر، يمكن أن تأتي به في أقل من دقيقة، تكرره ثلاث مرات في دقيقة، بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفضل الواسع فيه.

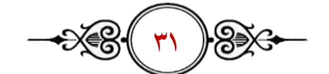
وأيضًا جاء عن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه كان كثير الذكر، فعلمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمات يقولهن: «**سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في السماوات والأرض، سبحان الله ملء ما في السماوات والأرض، سبحان الله عدد**



ما بينهما، سبحان الله ملء ما بينهما، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، سبحان الله عدد ما أحصاه كتابه، والحمد لله مثل ذلك».

ونسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.





٧ - كن شاكرًا

لكي تكون رفيعًا: **(كن شاكراً)**، فإن شكر الله عَزَّوَجَلَّ على نعمه يثبت النعمة الموجودة ويجلب النعمة المفقودة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم:٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣]، وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سورة سبأ:١٣]، فمن يشكر الله يلقى المزيد، ومن يكفر نعمة الله يلقى الغِيَر.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عبدًا شكورًا، يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وامتدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن فقال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»، فالمؤمن شاكر لله عَزَّوَجَلَّ شاكر له، أو صابر على بلوائه إن وقعت.

فالشكر عباد الله من أعظم مقامات السالك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن أردت النعمة مفقودة اشكر الله، وإن أردت تثبيت النعمة الموجودة اشكر الله.

والشكر يكون بثلاثة أشياء: باللسان بحيث تثني على الله، تحمد الله، وبالقلب استكانة وخضوع واستشعار لعظيم منة الله عليك، وبالجوارح، انقياد للطاعات والقربات، جوارحك تسخرها في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، تُشكر على ذلك.

والله عَزَّوَجَلَّ اسمه الشكور الشاكر، فيجازي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

ويتعين شكر الله عَزَّوَجَلَّ بلسان الحال والمقال، وفي السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، يُشكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نعمه الكثيرة، وعلى آلائه العظيمة.

ولذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ أن ننظر إلى من دوننا حتى لا نزدري نعمة الله، وقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى:١١]، شكراً لله على ذلك، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



لأبي رمثة حين رأى عليه الأطمار: «**هل لك مال؟**» قال: «**من كل المال قد آتاني الله**»، قال: «**أفلا تُرى نعمة الله عليك؟**».

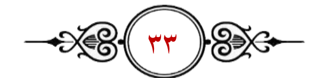
ومن شكر الله: شكر الناس على معروفهم وإحسانهم، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»، لأن الشاكر على المعروف يعرف المعروف لأهله وذويه، والله عَزَّوَجَلَّ هو المنعم على العباد بجميع أنواع النعم الظاهرة والباطنة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان:٢٠]، نعم عظيمة، وآلاء كثيرة ينبغي أن نشكره سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليها، ونحمده سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في أي حال، نحمده على حكمته، نحمده على جلاله وجماله وعظمته وحسن أفعاله، ونشكره على نعمه الواصلة إلينا الكثيرة، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**أسألك قلبًا شاكراً**»، وهكذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له: يا رسول الله ما خير ما ندخر من المال؟ قال: «**قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكراً، وزوجة تعينك على أمر الآخرة**»، هذا خير ما يدخر أن يكون الإنسان في طاعة الملك المنان سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ونعم الله كثيرة إذا ابتلينا بسلب واحدة لا نكفرها جميعًا، علينا أن ندعوه بتثبيتها وردها، ونشكره على كثير نعمه، «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**».

إلى غير ذلك من الكلام عن هذه الصفة العظيمة الجليلة التي تحلى بها أهل الإيمان في كل دهر وأوان، وفي كل مصر وعصر، والله المستعان.







٨ - كن داعيًا لله

لكي تكون رفيعًا: (فكن داعيًا لله عَزَّوَجَلَّ)، سائلاً منه ذلك، فبيده الرفعة، وبيده العز، وبيده النصر، وبيده التمكين، رفعة الدنيا والآخرة منه وإليه، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

فما عليك إلا أن تقول: يا الله، لما أردته ورجوته، ما لم يكن إثمًا أو قطيعة رحم، فإن الله يستجيبه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

وإذا تأخرت الإجابة فالخلل فينا، أو لعلم الله أنها لا تصلح لنا، فله العلم المحيط بكل شيء، وله الحكمة في كل شيء، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

«الدعاء هو العبادة» كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدعاء سبب النصر والظفر، وسبب تفريج الكرب، فكم من مغلوب انتصر الله له بالدعاء! قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [سورة القمر:١٠]، فاستجاب الله له، وفتح عليهم السماء بماء منهمر، وفجر الأرض عيونًا، فالتقى الماء وأهلك الكفار، وما سلم إلا من سلمه الله في السفينة مع نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الدعاء سبب لا ينقطع فيما بينك وبين الله، تغلق الأبواب ويبقى الدعاء، تنقطع الأسباب ويبقى الدعاء، تتحقق المستحيلات وتفرج بالدعاء، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم من هذا الشيء العظيم، ومن ذلك يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في البحر في ليلة مظلمة، وصار في بطن الحوت المظلم، نادى الله ودعاه، فسمعه ربه ونجاه، ﴿وَذَا



ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

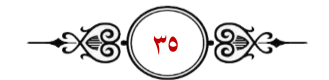
فأي كربة يكشفها الله، لا تعجزه، ما عليك إلا أن تدعوه وترجو الإجابة.

وهكذا أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ طال مرضه وسقمه، وقُلي من القريب والبعيد، فدعا ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فشفاه وحباه وأعطاه، ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [سورة الأنبياء:٨٤].

وهكذا زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، طال عمره، ورق عظمه، وعقرت زوجته، ولم يكن له ذرية، فدعا الله، فاستجاب الله له، ووهب له يحيى، وأصلح له زوجه، بعد أن كانت عاقرة صارت حاملة، بعد أن كان فردًا صار له ولد يخلفه.

وكم هي الدعوات العظيمات! الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، دعوا الله فرفعت الصخرة، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لازم الدعاء كثيرًا، ليلة بدر نام الناس وهو يدعو، وأنجز الله له ما وعده.

وكم هي الدعوات التي غيَّر الله عَزَّوَجَلَّ بها أمورًا كثيرات، فما عليك أيها المسلم إذا أردت الرفعة في جميع شأنك إلا أن تلزم الدعاء، بالدعاء تسأل العلم، تسأل العمل، تسأل الرفعة، تسأل الرزق، تسأل الصلاح، تسأل الهداية، بالدعاء تسأل الله عَزَّوَجَلَّ كل سبيل يقربك منه، تسأل رفعة الدنيا والآخرة، تسأل الجنة التي هي أعظم ما يكون من الرفعة، «**إن أهل الجنة ليرون أهل الغرف كما يرى الكوكب الدري الغابر في السماء؛ لبعد ما بينهما**»، رفعة، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور:٢٨]، ولذلك رفعهم، ورفع ذريتهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [سورة الطور:٢١].



فما أردته من شأن الدنيا والآخرة فما عليك إلا أن تطلبه من الله، الذي لا يعجزه ولا يُكْرِثه، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

أهم شيء أن تحرص أن يكون مطعمك حلالاً، وملبسك حلالاً، ومشربك حلالاً، فإن من أسباب رد الدعاء: أكل الحرام، ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الرجل «**يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟**».

أهم شيء ألا تدعو بإثم أو قطيعة رحم، «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم**»، وهكذا لا تعجل الإجابة، فالله له الحكمة، الله يعلم وأنتم لا تعلمون.

وللدعاء أوقات يُستجاب فيها أكثر من غيرها، مع أنها عبادة تصلح في كل وقت، وفي كل حين، وفي كل زمان ومكان، وعلى كل حال، الدعاء عبادة تصلح في كل وقت، وفي كل حين، وفي كل مكان، وفي كل حال، ومن الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، ومن السقيم والصحيح، ومن الجميل والقبيح، ومن الجميع، عبادة عظيمة للجميع ومن الجميع.

بل إن الله قد يستجيب دعاء الكافرين في بعض المواطن، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥].

وذكروا أن بعض أهل الذمة في منطقة من المناطق سألوا إمام المسلمين أن يستسقي لهم فلم يستسق لهم، فذهبوا يستسقون فسقوا، فعند ذلك فتن به بعض الناس العوام، قال لهم: الله عَزَّوَجَلَّ يستجيب للمضطر، هؤلاء دعوه باضطرار.

فتوخ أوقات الإجابة، والإلحاح في الدعاء، حال الاضطرار في الدعاء، بين الأذان والإقامة، في السجود، دبر الصلاة قبل السلام، آخر الليل، الثلث الأخير من الليل، في

السفر، في حال الصيام، يوم الجمعة، في الطواف بين الصفا والمروة، لا سيما على الصفا والمروة، عند رمي الجمار، في عرفات، وفي كثير من الأحوال لازم الدعاء.

وقدم بين يدي سؤالك الثناء على الله، والصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يدعو لم يثن على الله ولم يصل على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**عجل هذا**».

وادعُ الله وأنت مستيقن بالإجابة، وادعُ الله وأنت تستشعر أنك تعبده بهذا الدعاء، أنت تعبده، كما تعبده بالصلاة تعبده بالدعاء.

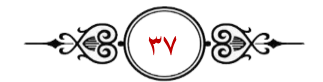
فالله الله عباد الله، اسلكوا سبيل الرفعة، ومنها هذا السبيل العام الشامل، الموصل إلى كل مطلوب، والمبعد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من كل مرهوب.

وإذا تأملت حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجد منها: «**اللهم إني أسألك**»، «**اللهم إني أعوذ بك**»، دعاء، سؤال وطلب، واستعاذة وهرب، وربنا عَزَّوَجَلَّ يستجيب من يشاء، ويتفضل على من يشاء.

ومن أعظم الدعوات دعوة الوالد لولده، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب، «**دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند كتفه ملك موكل يقول: آمين، ولك بمثل**»، «**لا تدعو على أنفسكم، ولا تدعو على أولادكم، ولا على أموالكم، إلا بخير، قد توافق ساعة إجابة فيستجاب لكم**».

فبارك الله فيكم أكثروا من هذه الشعيرة، لا سيما في رمضان، رمضان كله وقت إجابة، في ليله ونهاره، تجمعت فيه عدة أسباب لاستجابة الدعاء: الصيام، قراءة القرآن، الصلاة، وهكذا الاعتكاف، وهكذا السمر على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والقيام، فما على الإنسان إلا أن يكثر والله أكثر.





٩ - كن ناصحًا

ﮋ **لكي تكون رفيعًا: (كن ناصحًا)**، تعرف ذلك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسله بالنصيحة، وكان ذروة الناصحين، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٦٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن هود: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الأعراف:٦٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:٧٩]، وقال عن شعيب: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:٩٣].

فبعث الله عَزَّوَجَلَّ رسله بالنصيحة، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الدين النصيحة**»، قال الصحابة رَضِوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، فاستوعبت النصيحة جميع الدين.

النصح لله: بتوحيده، وإفراده بما يجب له، وامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه وزجره، النصح لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمتابعته، النصح لأئمة المسلمين: بطاعتهم في طاعة الله، وعدم الخروج عليهم، وبذل النصيحة لهم، والنصح لعامة المسلمين: بأن يكون تعاملك معهم على الوجه الشرعي، وأن تبذل النصح إن خالفوا الكتاب والسنة.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاه الصحابة بالبيعة بايعهم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، فقرن البيعة بالنصيحة على البيعة بالصلاة والزكاة، وهما ركنان من أركان الإسلام العظيمة.

فبقيام النصيحة يصلح المجتمع، وبغياب النصيحة يفسد المجتمع، وأيضًا العلماء من ذروة الناصحين بعد الأنبياء، ولذلك رفعهم الله، وأبقى ذكرهم، ويسر

أمرهم، وجعلهم يرثون الأنبياء، «**الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

فكلما كنت ناصحًا كلما كنت رفيعًا في دنياك وأخراك، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يرفعك ويجازيك بأجور لمن استفاد من نصيحتك، ولمن انقاد بتوجيهك، «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**».

النصيحة سبب للرفعة من وجوه كثيرة، فالناصح لنفسه هو الموحد لربه، والمنقاد لشريعته، والملتزم بسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والملازم للطاعة، والمبتعد عن المعصية، هذا هو الناصح لنفسه، يسوقها إلى الجنة سوقًا، ويمنعها من سبل النار منعًا.

وهكذا الناصح لغيره نصحهم لمحبته لهم، ونصحه لمحبته لدين الله، ونصحهم لامتثال أمر الله، ومتابعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا نصحه معهم في المعاملات الشرعية، امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا أعظم من النصيحة، هذا الدين العظيم الذي بينه النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة**»، فالنصيحة هي كل الدين، والدين الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل هو القيام بالنصيحة.

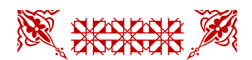
فإحسان الصلاة من النصيحة، وإيتاء الزكاة من النصيحة، وحج البيت من النصيحة، وصلة الأرحام نصيحة، والإحسان إلى الجيران نصيحة، وصدق الحديث نصيحة، والأمانة نصيحة، والبعد عن الكذب والخيانة نصيحة.

تنصح لنفسك، وتنصح لغيرك، وتنصح مع الله، وتنصح بالمتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا لو استقام الناس على النصيحة لرُفِعوا وسلموا من أسباب العطب، واستقام المجتمع، ما حصلت الثورات والانقلابات إلا بعدم النصيحة، ما حصل الغش للمسلمين إلا بعدم النصيحة، ما حصلت الحزبيات والبدع والخرافات





وتنوعت المنكرات إلا بسبب البعد عن النصيحة، وإلا لو أن الناس التزموا النصيحة لصلح الشأن في دنياهم، وصلحت لهم أخراهم، والله المستعان.



١٠- كن آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر

لكي تكون رفيعًا: (**كن آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر**)، هذه الخصلة الشريفة التي أرسل الله عَزَّوَجَلَّ بها رسله، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ بها كتبه، وحض المؤمنين عليها فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، وامتدح المؤمنين بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠].

وامتدح من حققها من أهل الكتاب قبل مبعث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآمن بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسار عليها بعد بعثه: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٣-١١٤].

وهكذا لعن الله عَزَّوَجَلَّ اليهود والنصارى بترك هذه الشعيرة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

وأخبر أن صفة المنافقين: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة:٦٧].

وأخبر أن المؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة:٧١].

وبعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهذا الأمر: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]، ولقمان عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يأمر ولده بذلك: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة لقمان:١٧].

والنبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

رُفعت هذه الأمة على غيرها من الأمم لتحقيق هذه الشعيرة العظيمة.

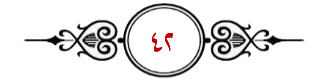
والمعروف: التوحيد وما دونه، إلى إزالة الأذى عن الطريق، والمنكر: الشرك وما دونه، إلى النخاعة في المسجد.

فعلى المسلمين أن يحققوا هذه الشعيرة العظيمة، بها رفعتهم، بها عزهم، بها تمكينهم، بها ظهور الدين، بها صد طريق المجرمين، هي الحياة التي يدعو إليها الإسلام، أن يكون المجتمع آمرًا بالمعروف، داعيًا إليه، محافظًا عليه، عاملًا به، راغبًا فيه، وأن يكون منتهيًا عن المنكر، حذرًا منه، مبتعدًا عنه، كارهًا له، راغبًا عنه.

فإن سبب فساد العالم فشو المنكرات، وسبب صلاح العالم ظهور المعروف، والنبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**كل معروف صدقة**»، والمعروف ما عُرف في الشرع وقبله الشرح، والمنكر ما خالف الشرع.

فعلى المسلم أن يقيس أعماله بالشرع، فما وافق الشرع فهو المعروف الذي يتعين المجيء به، والدعوة إليه، والعمل به، والصبر على الأذى حين تبليغه، وهكذا ما خالف الشرع يتعين عليه البعد عنه، والتحذير والحذر منه.

إن المجتمع المسلم حين بعث النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حقق هذه الشعيرة على أكمل ما يكون من التحقيق، فما هي إلا سنوات يسيرة وإذا بهم سادة العالم وقادة العالم، امتثلوا أمر الله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].



فدعوا إلى الخير بلسان الحال والمقال، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر بلسان الحال والمقال، وكان من أعظم ذلك فتح مكة، دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسر الأصنام، نهيًا عن المنكر، ودعا إلى التوحيد أمرًا بالمعروف، وجعل ينكتها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء:٨١].

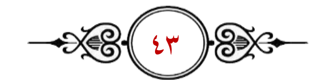
واستمر الصحابة رَضِوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ على منواله، وهكذا سلك العلماء هذا المسلك العظيم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أجله فتحت دور الحديث، من أجله صنفت المصنفات، وكتبت الكتب، ودرست العلوم، من أجل تحقيقه، شرعت خطبة الجمعة، وخطبة العيد، وخطبة الكسوف، وخطبة الاستسقاء، وخطبة عرفة، وغير ذلك من الخطب، كلها دعوة إلى المعروف، وتحذير من المنكر.

فعلينا عباد الله أن نحقق هذه الشعيرة العظيمة التي سنسأل عنها يوم القيامة، «**إن العبد إذا وقف بين يدي الله، قال الله له: يا عبدي، ما منعك إذ رأيت المنكر ألا تغيره؟ فإن لقنه الله حجته، قال: يا رب، رجوتك وفرقت من الناس**»، والمصيبة إذا لم يُلقن الحجة، إذا لم تكن له حجة في سكوته عن المنكر، وفي عدم أمره بالمعروف، ماذا سيكون عذره عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

والمنكر يُغيَّر بعد معرفته، لأن هناك طوائف تزعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم أنفسهم واقعون في المنكر بعيدون عن المعروف، وهم الخوارج والمعتزلة ومن إليهم، من أصولهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم: هو الخروج على الحكام، والمنابذة لهم، وقطع السبل، وقتل الأبرياء، إلى غير ذلك مما هو معلوم من طريقهم.

والمنكر إذا أردت أن تكون رفيعًا فليغير المنكر بما لا منكر فيه، أما تغيير المنكر بمنكر أو تغيير المنكر بمثله فلا مصلحة للمسلمين في ذلك.

ومـــن يغيـــر منكـــرًا بمنكـــر ... كغاســـل الحـــيض ببـــول أغـــبر



فعلى المسلم ابتداءً أن يعرف المعروف ويلتزمه ويعمل به، ويدعو إليه ويحققه، ويعرف المنكر فيجتنبه، ويحذر منه، ويقلوه، بهذا يرفع، وبهذا يمكن، وبهذا ينصر، والله المستعان.





١١ - كن ناصرًا لدين الله

۞ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن ناصرًا لدين الله عَزَّوَجَلَّ**)، فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [سورة محمد:٧]، ويقول سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [سورة الحج:٤٠].

وسمي الأنصار بهذا الاسم؛ لنصرتهم لدين الله عَزَّوَجَلَّ، وارتفعوا ارتفاعًا ما زالوا يذكرون به إلى يومنا هذا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠]، ودعا لهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار**».

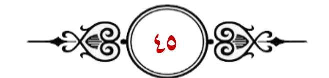
عباد الله: إن دين الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ رفيع، فمن نصره نُصر، ومن عظمه عُظم، ومن خذله خُذل، فإذا أردتم الرفعة فانصروا دين الله.

أولاً: بتعلمه، فإن دين الله عَزَّوَجَلَّ هو العلم الذي أوحاه إلى محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ثانيًا: بالعمل به، فإن العلم لا ينفع إلا إذا عُمل به، ولهذا كان من دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أسألك علمًا نافعًا، وأعوذ بك من علم لا ينفع**».

ثالثًا: الدعوة إلى هذا الدين، بما استطعت من أنواع الدعوة، القولية أو الفعلية، كتابة أو خطابة، دلالة وإرشادًا.

رابعًا: الصبر على الأذى الذي تلاقيه من أجل نصرة هذا الدين، فإن من سلك سبيل النصرة لهذا الدين قد يُؤذى بالقول أو بالفعل أو بهما، ولذلك قال ورقة بن نوفل لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: يا ليتني أكون جذعًا إذا أخرجوك، قال: «**أومخرجي**



هم؟» قال: نعم، ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا أوذي وعودي، وإن أكن حيًا أنصرك نصرًا مؤزرًا.

فدين الله يحتاج من العباد أن يلازموا النصرة له ولحملته.

خامسًا: المجالسة حملة هذا الدين، والإعانة لهم بما تيسر من أنواع الإعانات القولية والفعلية، وما يسره الله على يد هذا الشخص.

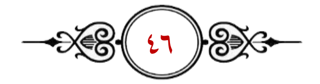
سادسًا: الذب عن هذا الدين وحملته، فهذا من نصرته، فإن المتربصين بهذا الدين كثر لا كثرهم الله، يطعنون فيه، ويطعنون في حملته، كما فعل كفار قريش، طعنوا في القرآن، وطعنوا في النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وطعنوا في أتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا، في كل زمن وحين، وفي كل عصر ومصر.

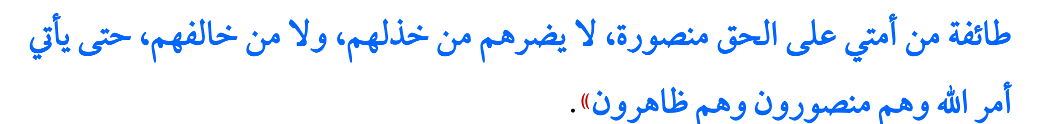
فإذا أردت أن تكون رفيعًا فكن مناصرًا لهذا الدين، ينصرك الله، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينصر دينه بالرجل الفاجر، لكن لا يرتفع بذلك، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأى ذلك الرجل يقتل في المشركين قتلاً ذريعًا: «إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر»، ما انتفع.

بينما أنت أيها المسلم إذا نصرت دين الله محتسبًا للأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ أبشر بالرفعة التي لا بعدها ولا قبلها، انظر لما كان الأنبياء أعظم الناس نصرًا لدين الله عَزَّوَجَلَّ كانوا أرفعهم في الدنيا والآخرة، وهكذا العلماء الذين نصروا دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رفعوا الله في الدنيا والآخرة.

وهكذا المجاهدون الذين يجاهدون لإعلاء كلمة الله، سواء كان جهادهم بالسنان أو باللسان، أو بالمال، أو بغير ذلك من أنواع الجهاد، رفعهم الله عَزَّوَجَلَّ درجات علية، وأكرمهم بالخيرات العظيمة.

كل إنسان يناله الرفعة في الدنيا والآخرة بقدر نصرته لدين الله عَزَّوَجَلَّ وبقدر سيره مع هذا الدين، فمن نصره نصره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن خذل الدين خذله الله، «لا تزال





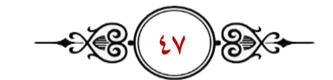
طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم منصورون وهم ظاهرون».

فعلينا: أن نحقق هذا الباب العظيم، النصرة لدين الله، ولا يقر لنا قرار، ولا يهدأ لنا بال، ولا يرتاح لنا قلب إلا إذا كنا نسعى في نصرته، سعادتنا حين نرى هذا الدين منتصرًا، وراحتنا إذا رأينا هذا الدين قد مكن، وسعادتنا إذا رأينا هذا الدين هو المعمول به، والملتَزم به في الدنيا.

به الدارين، دين الله الحق الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وقد بشر الله عَزَّوَجَلَّ أهل هذا الدين بالرفعة في الدنيا والآخرة، «**بشر هذه الأمة بالرفعة والسنا والعلو والنصر والتمكين**»، ألفاظ متقاربة مترادفة المعنى، ومع ذلك كُررت؛ لتعلم أن الرفعة في هذا الدين، وأن الضعة في خلاف هذا الدين.

فلا عبرة بأموال مع البعد عن هذا الدين، ولا عبرة بجاه مع التفريط في هذا الدين، ولا عبرة بكثرة أتباع مع عدم الأخذ بهذا الدين، فإن هذا الدين هو الرفعة ولو كنت وحدك، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة النحل:١٢٠]، مع أنه كان وحده، وسماه الله قانتا حنيفا، وامتدحه بأنه أمة، والأمة: الإمام في الخير، ولذلك قالوا في بعض السلف: فلان أمة، إن معاذ بن جبل كان أمة، وقالوا في السكري: جماعة، وقيل في بعضهم: هو السواد الأعظم، وهو واحد.

فالرفعة بالدين، سواء كنت واحدًا أو مع آلاف، والضعة بعدم الدين ولو كانوا مليارات، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول في أهل الكتاب: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [سورة المائدة:٦٨]، وهم أكثر عددًا من المسلمين، ومع ذلك قال فيهم: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [سورة المائدة:٦٨]، والله المستعان.



١٢ - كن صادقًا

۞ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن صادقًا مع الله عَزَّوَجَلَّ في اعتقادك، وصادقًا في فعالك، وصادقًا في كلامك**)، فإن الصدق درجة رفيعة، يوفق إليها من علمه الله عَزَّوَجَلَّ من أهل الرفعة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٩]، مع أنه قد قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وهنا يقول: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٩]، الصدق درجة علية ورفعة.

انظروا إلى أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ سمي بالصديق؛ لكثرة صدقه وتصديقه بلسان حاله ومقاله، وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر من ذكر من عباده المؤمنين: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، ذكر أنه أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

ولا ينتفع الإنسان يوم القيامة بمثل صدقه: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [سورة المائدة:١١٩].

فرفعة الدنيا ورفعة الآخرة عائدة إلى هذه الصفة العظيمة، الصفة الحميدة، التي من لازمها في حاله ومقاله هُدي إلى الجنة، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا**»، فإذا كتب صديقًا كان في الجنة مع الصديقين، ومرتبة الصديقين بعد مرتبة الأنبياء والمرسلين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [سورة النساء:٦٩-٧٠].

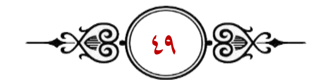
الصدق عباد الله طمأنينة في القلوب، وطمأنينة في عمل الجوارح، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»، الكذاب يخشى من فضيحة نفسه، ويبقى متلونًا، متخوفًا، مضطربًا، بينما صاحب الصدق يجد الطمأنينة والسكينة والراحة والانشراح.

الصدق بركة في الأموال، وبركة في الأفعال، ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البيعين: «**فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»، انظروا إلى أثر الصدق العظيم حتى في الأموال! كثير من الناس يكذب ويغالط ويحلف من أجل أن يكثر المال، ولكن لا بركة فيه، وصاحب الصدق ماله القليل يبارك فيه، فيصير كثيرًا.

الصدق عباد الله شأن المؤمنين، شأن المحبين لرب العالمين، شأن المتأسين بالنبي الكريم، شأن السائرين على منهج السلف الصالحين، الصدق في الأقوال والأفعال والاعتقادات.

وأول ما بدأ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة إلى الله الصدق: (اعبدوا الله واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)، لأن الصدق صفة المؤمن، كما أن الكذب صفة المنافق، صفة الوضعاء.

فالمؤمن في الدرجات العلا، والمنافق في الضعة، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ [سورة النساء:١٤٥-١٤٦]، عادوا إلى الصدق بعد كذبهم، وعادوا إلى الأمانة بعد خيانتهم، وعادوا إلى الوفاء بالوعد بعد تملصهم وتملقهم، ونقوا صدورهم من مخالفة أهل الإيمان.



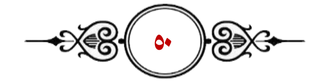
الصدق بركة على صاحبه، يجد أثره في دنياه، ويجد أثره في قبره، ويجد أثره في آخرته، حين يدفن الميت صاحب الصدق: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وصاحب الكذب يقول: ها، ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون قولًا فقلته.

فالزموا هذه الشعيرة العظيمة، وحققوها، حتى مع أبنائكم، مع زوجاتكم، مع آبائكم، مع أمهاتكم، مع الصغير، مع الكبير، قال كعب بن مالك حين سلمه الله عَزَّوَجَلَّ بالصدق وهلك المنافقون بالكذب مع أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تجاوز عن المنافقين في حينها، وكعب بن مالك بقي خمسين ليلة، حتى أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زوجته بهجره مع من هجره من الناس، ولكن بعد الخمسين ليلة جاء الفرج بعد الشدة، وظهر هذا الأثر العظيم في هذه الحالة الجليلة، قال: جعلت على نفسي ألا أقول إلا صدقًا أو إلا حقًا.

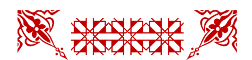
فالإنسان يتعود الصدق، فإن رأيت فيه لا تصدق، الصدق فيه النجاة، الصدق فيه السلامة، الصدق فيه النصيحة، الصدق فيه الخير العظيم.

كان بعض الكفار يتحرج من الكذب في حال كفره، فكيف بمسلم يترك الصدق ويتعنى الكذب؟ اصدق مع الله في عقيدتك، في عملك، تجد ما نويته من الخير، جاء رجل إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، بايعتك على أن يدخل سهم من ها هنا، ويخرج من ها هنا، فما هو إلا أيام وإذا به يصرع حيث أشار، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**صدق الله فصدقه الله**».

والله لو صدقنا الله في الدعاء لاستجابه لنا، ولو صدقناه في العبادة لقبلها منا، ولو صدقناه في الاستغاثة لأغاثنا، فإن الله عند ظن عبده به، لكن كثير منا عنده قصور ما الله به عليم.



فالله الله عباد الله في هذه الخصلة، وهذه الخلة التي بها الرفعة في الدنيا والآخرة، ألا وهي خصلة الصدق التي ينتفع بها العباد في دنياهم وأخراهم، والله المستعان.



١٣ - كن أمينًا

ﮩ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن أمينًا**)، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨]، وبعث رسله بالأمانة، ووصفهم بها، وأول ما بدأ به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في دعوته: الأمر بالتوحيد والأمانة، يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم**»، ويأمرنا بالصدق والصلة والعفاف والصدقة، وأداء الأمانة.

وأعظم الأمانة أمانة الدين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [سورة الأحزاب:٧٢].

وهكذا كل ما اؤتمن عليه الإنسان، حتى قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»، وأخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الخيانة صفة المنافقين: «**إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

ولما جاء وفد نجران إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وسألوه أن يبعث عليهم رجلًا قال: «**لأبعثن عليكم رجلًا أمينًا حق أمين**»، فبعث أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

فهذه صفة عظيمة يرفع بها الإنسان في دنياه وأخراه، ويرفع بها عند ربه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ويرفع عند المؤمنين.

سموا المؤمنون بهذا الاسم؛ لما هم عليه من الإيمان والأمانة، حتى في غسل الجنابة، وفي صيام رمضان، وفي غير ذلك من الأمور التي اؤتمنوا عليها.

فعلى الإنسان: أن يحقق هذه العبادة الجليلة، وهذه الصفة الحميدة؛ حتى يكون رفيعًا في دنياه وأخراه، فإن خائن الأمانة وضيع، لا رفعة له، ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:٧١].

والأمانة بابها واسع، كما أسلفت لكم، أولها: أمانة الدين، تحقيق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، وهكذا حسن العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

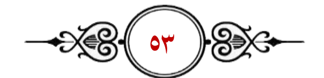
وهكذا الأمانة في الدعوة، فلا تدع الناس إلا إلى الخير وإلى الهدى، لا تكن غاشا لهم، فإن من أسوأ الخونة الدعاة إلى السوء والبدعة والشر، سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**»، أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا الخيانة في البيع والشراء مذمومة، والأمانة ممدوحة، فكن ناصحا أمينًا في حال بيعك وشرائك وأخذك وعطائك، وهكذا الأمانة بين الأزواج بأن يكون كل واحد منهما أمينًا على الآخر، لا يخونه، لا في نفسه ولا في ماله، وهكذا العبيد والإماء، وغير ذلك، قد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن: «**الخازن الأمين إذا أعطى ما أُمر به فهو وسيده في الأجر سواء**»، لما كان أمينًا مؤديًا ما تعين عليه، بدون حيف أو جور أو ظلم، فالأمانة بابها واسع.

كذلك عليها التجار في عدم بيع ما لا يجوز، فإن من الأمانة: بيع الحلال وترك الحرام، ومن الأمانة: النصح في حال البيع وعدم الغش، وهكذا الأمانة بين الآباء والأبناء، وبين الجيران، وبين الأرحام، فبابها واسع، في الحسيات والمعنويات.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المستشار مؤتمن**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن**».

فعلى الإنسان: أن يكون أمينًا في جميع شأنه، حتى يرفع عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا كان وضيعًا مذمومًا.



وقد أخبر النبي ﷺ أن: «**الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن ونزلت السنة**»، فازدادوا إيمانًا، وازدادوا خيرًا، وازدادوا برًا.

وفي آخر الزمان ترفع الأمانة من القلوب، ويصبح الناس يخونون الأمين ويؤمنون الخائن، كما قال النبي ﷺ: «**إن بين يدي الساعة أيامًا يؤمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين**»، والله المستعان.

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه في تحقيق هذه الصفة العظيمة، له وعليه، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفعه في الدارين، والله المستعان.





١٤ – كن متواضعًا

ﮋ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن متواضعًا**)، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أوحى به ذلك إلى محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**».

والتواضع من أعظم أسباب الرفعة، قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»، فكلما لزمت هذا الهدي وهذا السلوك كلما ارتقيت وارتفعت عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم عند خلقه، فإنهم يحبون المتواضعين، وقد قال لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [سورة لقمان:١٨-١٩].

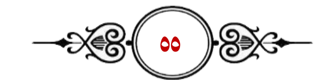
أناس تواضعوا لله عَزَّوَجَلَّ فكانوا في أعالي الجنان، وأناس لم يقع منهم التواضع فصاروا في أسفل النيران، سجد الملائكة لآدم طاعة لله، وتواضعا لأمره، واستكبر إبليس وأبى أن يسجد لآدم؛ كبرًا وتعاليًا، وإباءً وعنادًا.

والتواضع أنواع، بعضها أفضل من بعض:

أولها: التواضع لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بتوحيده، وإفراده بما يجب له، والأخذ بشريعته، النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قيل له: يا محمد عبدًا رسولًا أو ملكًا رسولًا؟ قال له جبريل: تواضع لربك، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا.

فالآخذ بالقرآن والسنة والموحد لله عَزَّوَجَلَّ هذا من المتواضعين، وإن لبس الثوب الحسن، والنعل الحسن، والمركب الحسن، والبيت الفاره، وهكذا من أخذ بسنة النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسار عليها، وانقاد لها، فهذا من المتواضعين.

فإن من أسوأ الكبر والتعالي هو التعالي على الكتاب والسنة، والإعراض عن الكتاب والسنة، وهكذا التواضع لبقية الناس، كل بحسبه، فمن تواضع لله رفعه الله.



قال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظره على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

المتواضع محبوب إلى عباد الله، والمتواضع صفاته محبوبة أيضًا، المتواضع فيه خلق الأنبياء، ومتأسي بالأتقياء والأصفياء، التواضع سبيل أهل الجنة، والتعالي والكبر والغرور سبيل أهل النار.

النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد ضرب المثل في هذا الباب، فهو أعلى وأزكى البشرية، ومع ذلك كان لا يأنف أن يأكل مع المسكين، وكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويركب على الحمار، ويحلب شاته، ويخدم أهله في بيتهم، وغير ذلك مما كان عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من التواضع في لباسه وفي مشيته.

دخل مكة في يوم النصر العظيم والفتح الكبير وقد طأطأ رأسه؛ تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، وكان يضيف الأمور دائمًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، وربما جاءته الجارية فتأخذ بيده إلى بعض طرق المدينة، فيذهب معها ويقضي حاجتها، تواضع لله عَزَّوَجَلَّ ثم للمساكين، إلى غير ذلك مما كان عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي المقابل لما طلب منه مسيلمة الكذاب ما طلب قال: **«والله لو طلبت هذه»** - وأشار إلى شيء من خوص النخل - **«ما أعطيتكها، ولئن توليت ليعقرنك الله»**.

فهذا خلق عظيم، من أراد أن يكون رفيعًا في دنياه وأخراه، فعليه أن يلزم التواضع والسكينة والهدوء، وعدم التعالي والكبر والغرور، والله المستعان.





١٥ – كن باذلًا للمعروف

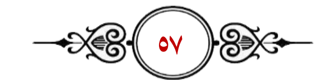
✽ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن باذلاً للمعروف والخير**)، سواء المعروف العلمي أو المعروف المالي، أو معروف الجاه، كل ما تستطيع بذله للمسلمين يعتبر من أسباب الرفعة في الدين، ومن أسباب الرفعة عند الناس، فإن النافع لهم يحبونه ويودونه ويرفعون من شأنه، فلا بد أن تكون من أهل الخير حتى تكون باذلاً للخير.

وهذه صفة عظيمة، صفة الخيرية، فالله عَزَّوَجَلَّ خير، واسمه الخير، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بُعث بالخير، والصحابة رَضِوَانُاللهِعَلَيۡهِمۡ كانوا أهل خير، وهكذا كل من سلك سبيلهم واقتفى أثرهم.

فلا بد أن يعود الإنسان نفسه البذل بقدر ما عنده من الخير، إن كان عالمًا فليبذل العلم، وإن كان له وجاهة في المجتمع فليبذل وجاهته في الشفاعات، ونحو ذلك مما تُقضى به الحاجات وتُفرج به الكربات، وإن كان من أهل المال فليبذل ماله في تفريج كربات المكروبين، وإعانة المنكوبين والمحتاجين، وقضاء دين المدينين، وهكذا التوسعة على المسلمين في مساجدهم وفي مدارسهم وفي طرقهم، وفي جميع ما يكون نافعًا لهم وهو يستطيع ذلك.

الله عَزَّوَجَلَّ قد أثنى على المنفقين كثيرًا في كتابه الكريم، بل من أوائل الثناء في سورة البقرة على هذا الصنف إذ قرنهم بالمصلين، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [سورة البقرة:٢-٣].

فهكذا ليكن المسلم باذلاً للمعروف، باذلاً للخير، آمراً به، وقد ذم الله عَزَّوَجَلَّ من لا يفعل ذلك، حيث قال: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾ [سورة الحاقة:٣٤]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [سورة النساء:٣٧]، صفة ذميمة أن يكون الإنسان مانعًا للخير، ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ [سورة القلم:١٢]، صفة ذميمة، وأن



يكون مانعًا لغيره، صفة منحطة، صاحبها ليس برفيع، بل وضيع عند الله عَزَّوَجَلَّ ثم عند الناس.

بينما المنفق بينما الباذل للخير ممدوح، حتى عقلا، لو لم يكن شرعًا عقلاً وقدرًا، لما رجع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خديجة ينتفض خوفًا مما رأى حيث رأى جبريل جالسًا على كرسيه بين السماء والأرض، منظر لم يألفه، ولم يره، فرجع يرتجف، يقول: «**يا خديجة، والله لقد خشيت على نفسي**»، قالت: كلا والله، لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

استدلت على سلامة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نزول شر به بصفات البذل والعطاء، والكرم والخير الموصول إلى الناس.

وهكذا ابن الدغَنَّة لما خرج أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فارًّا بدينه من مكة، قال له ابن الدغنة: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أفر بديني، قال: مثلك يا أبا بكر لا يخرج، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وذكر الصفات التي ذكرتها خديجة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا بد أن يسعى الإنسان في بذل الخير؛ حتى يُشهر به ويعلم به ويعرف به بين الناس، هذا يدعو له، وهذا يثني عليه، وهذا يذكره به، فيُرفع في دنياه وأخراه بالبذل، سواء البذل الحسي أو البذل المعنوي.

وفي تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير:٢٤] بالضاد أي: ببخيل، استدل أهل العلم بهذه الآية على أن أعظم الكرم الكرم بالعلم، الكرم بتعليم الناس، وإفتاء الناس، وتوجيه الناس، فكل بقدر ما عنده، يعود نفسه بذل الخير، ولو كان ما عنده يسيرًا، حتى ذكر بعض السلف: ولو تصدق ببصلة.



وهكذا ذكروا: أن عبد الله بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قيل له: يذكر شيئا مما يعرف من الكرم، فذكر غلامًا أنه أكرم منا، قالوا: كيف؟ قال: كنا في مكانٍ، فلقينا محتاجًا، فأمرت الخادم أن يعطيه مائة وخمسين ألف، قال: وكان هناك مولى معه دراهم يسيرة، قال: أعطى كل ما لديه، فكان أكرم منا، ونحن أعطينا بعض ما لدينا.

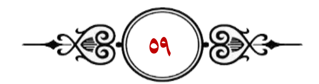
فالإنسان ينظر إلى عظيم نفعه للناس، به يرفع، انظروا إلى من ينفع الناس كيف يرتاح الناس إليه، يثنون عليه، يدعون له، وإذا مات شفعوا له، وصلوا عليه، كل هذا من أسباب الرفعة، الدينية والدنيوية.

فعود نفسك البذل، ولو السلام، بذل السلام للعالم من أسباب الرفعة، طيب الكلام، إذا لم تكن ممن يحسن إطعام الطعام وبذل المال وغير ذلك أطب كلامك، ورد سلامك، وصافح هذا، ودل هذا، وأرشد هذا، وأعن هذا على دابته، وساعد هذا في طريقه، فإن هذا من أسباب الرفعة في الدارين، أن يكون المسلم باذلاً لنفسه في خدمة غيره.

وقد سئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أفضل الناس قال: «**أنفعهم للناس**»، هذا هو البذل، ولذلك قيل في حسن الخلق: بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، الندى يُطلق على الصفات الحميدة، ويطلق كذلك على المال، ويطلق على كل ما يُبذل، بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

بهذا ترفع في الدارين، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق**»، أي: ببذل الندى للمحتاجين، وللطالبين، وللسائلين، وللمسترشدين، والله المستعان.





١٦ - كن كريمًا

ﷺ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن كريمًا**)، فإن الكرم صفة عظيمة، صفة الرفعة، اتصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، وصفات الله أكمل ما يكون من الصفات، وأعظم ما تكون من المعاني، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كريم في ذاته، كريم في أفعاله، كريم في هباته، وهكذا هي صفة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كان كريمًا بعطائه، كريمًا بمعاملته، كريمًا بعفوه وصفحه، كريمًا ببعده عما لا يليق.

وقد وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بالكرم، وهكذا وصف الله عرشه بالكريم، وهو العرش الرفيع الذي هو سقف الجنة، وأعلى المخوقات، ووصف القرآن بالكريم، وهو كلام رب العالمين، ووحيه وتنزيله، والنور المبين.

وتخلق بهذه الصفة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اقتفى أثرهم، هذا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يذبح لأضيافه وكانوا ثلاثة عجلا سمينا، وجهز لهم الطعام وقدمه لهم، وهذا لوط عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لكرمه ينكر على قومه الفعلة القبيحة، ويتألم منهم، ويرشدهم إلى غشاء نسائهم وترك هذا البلاء، الفاحشة العظيمة.

وهذا موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ رسول كريم، وصفه الله بذلك، كان كريمًا في تعامله، كريمًا في توبته، كريمًا في علمه، كريمًا في جميع شأنه.

وأما نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد حاز السبق في هذا الباب، ما سُئل شيئًا فقال: لا، يعطي القليل والكثير، ولكرمه كان آمرًا بالتوحيد، والعقيدة الصحيحة، والعبادة الخالصة، ومرشدًا إلى معاني القيم ومحاسن الأخلاق، وملتزمًا لها في حاله ومقاله.

والشجاعة والكرم مرتبطتان، فلا يكون البخيل شجاعًا، ولا يكون الجبان كريمًا، والعكس: لا يكون الكريم جبانًا، ولا يكون الشجاع بخيلًا، فتحلوا بهذه الصفة ترفعوا في دنياكم وأخراكم، فإن الكرماء خُلد ذكرهم في كتاب ربنا، وفي سنة نبينا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي تراجم السلف، كريم الطباع، كريم العطاء، كريم الكلام، كريم الفعال، هو الذي يرفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن أعظم أوجه الكرم: حسن الأخلاق فيما بينك وبين الله، هذا كرم عظيم، وحسن التعامل مع الناس، هذا كرم، والبذل والعطاء في أوجه الخير، ولو بقليل ما تيسر، هذا كرم، وهكذا الإقبال على طلب العلم، والتزود منه، والعمل به، والدعوة إليه، هذا كرم، ومن أعظم صفات الكرماء، ومن أعظم الأسباب المرسلة إلى الكرم.

لأن الكرم منه جبلي ومنه مكتسب، فالجبلي: أن تكون طبيعة الإنسان مع الأفعال الكريمة والصفات الكريمة، والمكتسب: أن يكون على حال غير حسن، ولكنه يتعلم القرآن والسنة، فيعمل بهما، ويلتزم لهما.

ومن الكرم: العفو عمن ظلمك، والصبر على من جهل عليك، والإحسان إلى من أساء إليك، والإحسان أكثر لمن أحسن إليك، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن:٦٠].

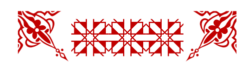
تخلقوا عباد الله بهذه الصفة العظيمة، التي لا تذكر إلا على سبيل المدح، وصاحبها رفيع في دنياه وأخراه، في حاضره ومستقبله.

اتخذ بعضهم سيدًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سيدكم؟» قالوا: جد بن قيس، لولا أننا نبخله، قال: «وأي دواء أدوى من البخل؟» ثم دلهم على عمرو بن الجموح، كان كريمًا.

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان له هذه الصفة العظيمة في هذا الباب، سواء في أخلاقه، في عطائه، في علمه، في مراقبته، في حسن صحبته، وهكذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعثمان كان حيِيًّا كريمًا، وعلي بن أبي طالب، وبقية الصحابة الأخيار، ومن سار على سيرهم إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض، تجد فيهم الكرم، كرام الطباع، وكرام العطاء، وكل بحسبه.

ويضاف إلى ما تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أكرم الناس؟**» قال: «**أتقاهم لله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

فهذا الحديث دليل صريح على أن الكرم يكون بالأعمال الصالحة والتخلق بها، ويكون بالعلم، ويكون بالنسب الشريف إذا كان صاحبه طائعًا لله، قائمًا بأمره، ملتزمًا لشرع الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله.





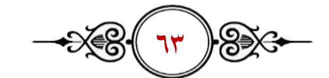
١٧ - كن شجاعًا

ﮋ **لكي تكون رفيعًا: (كن شجاعًا)**، فإن الله عَزَّوَجَلَّ بعث الرسل لتبليغ دينه ووحيه وشرعه، وكانوا أشجع الناس، يواجهون أممًا، يواجهون المخالفين، يهدَّدون بالطرد، يهددون بالرجم، يهددون بالقتل، بل يُتربص بهم لإنزال الأذى بهم، وهم مع ذلك في قمة الشجاعة والإقدام والقوة.

فنوح ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عنه أنه قال لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [سورة هود:٥٥]، وهكذا هود قال لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [سورة هود:٥٥]، وهكذا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتحدون أممهم الكافرة، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على فرعون صاحب الجبروت والأبهة يدعوه إلى الله، ولما أعرض قال له كلمة تَنُم شجاعته: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٢]، أي: هالكًا.

وذكر أنس ابن مالك رضي عنه وجاء عن غيره: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أشجع الناس، فربما سمعوا صوتًا في المدينة، وإذا بهم يخرجون للصوت، وقد عاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذهب إلى محل الصوت وحده، وركب فرسًا عُرِيًا، ليس عليها سرج، وقال: «**وجدناه بحرًا**»، أو: «**إنه لبحر**».

وكم قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا مواجهًا لقريش بجبروتها وهيبتها! وهكذا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا من أشجع ما يكون من الناس، حتى قال عبد الله بن عمرو بن العاص: لقد رأيت من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقفًا، وذكر من شجاعته، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي حول الكعبة، فانطلق إليه ملأ من قريش ليخنقوه، فجعل يدفعهم ويقول: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [سورة غافر:٢٨].



ومنهم أيضًا مؤمن آل فرعون، حيث قام بكلمة في بلاط فرعون وأبهة فرعون، والناس يحيطون به، وهو يدعوهم إلى الإيمان، ويحذرهم من الكفران، وكم لهذا الأمر فيمن مضى من خيرة الناس المثل والإقدام، وشجاعة في أقوالهم، وشجاعة في أفعالهم، وشجاعة في قلوبهم ومعتقداتهم.

وإلا فإن الإنسان حين يرى الناس في مخالفة للشرع ومخالفة لما هو عليه ربما جبن وخاف، ولكن المؤمن يكون شجاعًا، «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أفضل الجهاد فقال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»، شجاعة توصل بها إلى قول الحق.

وهكذا من شجاعة المؤمنين أن ثلاثمائة وسبعة عشر واجهوا ألفًا من المشركين، وانتصروا عليهم، وأسروهم، وأهانوهم.

وهكذا الفتوحات الإسلامية قام بها الشجعان الأبطال، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فربما قاتلوا بالجيش اليسير العدد الكثير من الناس.

والعلماء نالوا قسطًا وأفرًا من هذا الخلق العظيم، ولهذا رُفعوا، قل أن تجد عالمًا إلا وعنده من الشجاعة، فإن لم يكن ذا شجاعة وغيرة على دين الله فإنه يضعف في تبليغ الدين، ويتخوف من نشر الحق، ولهذا قلت في ترجمتي لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: إن الله عَزَّوَجَلَّ جمع له بين الشجاعة والغيرة على دين الله.

فلو كان غيورًا ولم يكن شجاعًا؛ لما استطاع أن يقول كلمة الحق، ولو كان شجاعًا ولم يكن غيورًا؛ لما صدع بكلمة الحق، ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ جمع له بين الأمرين، ولهذا ألف كتاب (المخرج من الفتنة)، و (غارة الأشرطة)، وكم من الكتب! وكم من الأشرطة! رد على الصوفية، وعلى الرافضة، وعلى الاشتراكية الحمراء في زمن قوتها، وهو يحذر منها ومن إلحادها.

وهكذا العلماء على هذا الحال والمنوال، انظروا إلى شيخ الإسلام كم واجه من المخالفين وناظر، وبيّن ووضح، وسُجن، لو كان جبانًا لكتم الأمر في قلبه ومضى لشأنه، وهُزم في قبله الإسلام.

وهكذا الإمام أحمد كان شجاعًا، ضُرب وسُجن، وتكلم عليه، وصبر لله عَزَّوَجَلَّ، الشجاعة تنال بأنها من مكارم الأخلاق، والإنسان يسعى لأن يكون من أصحاب الأخلاق الكريمة العظيمة، فالجبان مذموم عند جميع الناس، حتى عند زوجته وأبنائه، وعند من يليه.

وهكذا التأسي بالكرماء والشجعان، من الأنبياء والصالحين، ومن سلك مسلكهم، وسار على طريقهم، وهكذا الإيمان بالقدر، وأن الإنسان يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلماذا الجبن؟ ولماذا الخوف؟ ولماذا الخور؟

وهكذا ليعلم أن الشجاعة هي سبيل الجهاد، وإلا فإن الجبان يخاف كما يقال من ظله، ربما خاف من الشياطين، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، والمؤمن في شجاعته لا يبالي بالشياطين ولا بأعوان الشياطين، ولا يلتفت إلى مكر الماكرين، ولا يتخوف من تربص المتربصين، بل يمضي في شأنه إلى الأمام لرفعة دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذا أردت أن تكون رفيعًا فكن شجاعًا، ولا سبيل للرفعة إلا بهذا الخُلُق العظيم، خلق الشجاعة المرتبط بخلق الكرم، والتخلص من خلق الجبن المرتبط بخلق البخل، فالإنسان يسعى إن كان شجاعًا جبليّة مضى على شأنه والتزم ما هو فيه، وإن كان غير شجاع في جبليته فإنه يكتسب هذا الخلق العظيم بقراءة قصص الصالحين والأنبياء والمرسلين.

وليعلم أن نفسه بيد الله، هو الذي يقبضها، وهو الذي يصيبها بما شاء، فلماذا التخوف؟ لكن ينبغي أن تكون الشجاعة مقرونة أيضًا بالحذر والحزم، كما روي عن عمرو بن العاص أنه قال:

شجاع إذا ما بدت لي حيلةٌ   فإن لم تكن لي حيلة فجبانُ

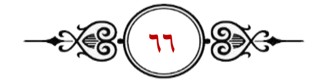
فالإنسان لا يكون متهورًا ويزعم أن ذلك من الشجاعة، هذا تهور، أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، ألا يرتب ما يقول، ألا يعلم متى يتكلم ومتى يسكت، ألا يعلم متى يقدم ومتى يتأخر، فلا بد أن ينظر في شأنه، وإلا فإن الكثير الكثير كانوا يرون أنفسهم في الشجاعة، وهو في تهور، وصلوا إلى درجة أن قتلوا أنفسهم، أو قُتلت أنفسهم، وذهبت أرواحهم، ولم ينتفعوا ولم ينفعوا.

انظروا إلى ابن هشام حين فر يوم بدر وكان كافراً، وعيره حسان بن ثابت بفراره، ولكن قال معذراً بأنه إذا بقي لم ينكئ عدواً بمشهده، فأبقى لهم ليوم موعد آخر، بمعنى الشعر الذي قاله.

فالإنسان قد يصل إلى موقف يرى أن الإقدام فيه سيؤدي إلى هلاكه أو إلى ضرره، أو إلى حصول الشر عليه، حصول الشر الذي ربما يلحق الدعوة، ربما يلحق الخير الذي هو فيه، وإلا لو كان الأمر يتعلق بشخصه ويكون فيه إنكاء للعدو لا يضر ذلك.

ولكن الإنسان يكون مقدامًا على الوجه الشرعي، ويكون حذرًا على الوجه الشرعي، فلا حذر إلى أن يصل إلى الجبن، ولا إقدام إلى أن يصل إلى التهور، ولكن بين ذلك، والله المستعان.





١٨ - كن عفيفًا

๙ **لكي تكون رفيعًا**: (**فكن عفيفًا**)، فإن العفة صفة الأنبياء، صفة المرسلين، ومن أوائل ما دعا إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا**»، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف.

العفة عن كل حرام، العفة في الأموال، العفة في الأعراض، العفة عن كل ما يخالف الكتاب والسنة، ولذلك كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

فإن الإنسان إذا كان عفيفًا كان محبوبًا عند الناس؛ لأنهم يسلمون من معرته، من أذيته، من نظرته، من مد يده، من إطلاق لسانه، فالعفة اسم جامع لمنع ما يصل إلى الإنسان من أذى منك، تعف في لسانك، فلا تغتابه، ولا تكذب عليه، ولا تنم عليه، ولا تبهته، تعف عينك، فلا تنظر إلى حرمه، ولا إلى ما يكره، تعف يدك، فلا تأخذ ماله، ولا تنتهب ما هو من شأنه، تعف قدمك، فلا تمشي إلى الحرام، تعف قلبك، بحيث يكون غنيًا عفيفًا، صلاح القلب به صلاح الجوارح.

فالعفة لو انتشرت في المجتمعات؛ لسلمت مما يؤدي إلى زعزعة أمنها، وإلى تفرق جمعها، بل لحصل الخير العظيم؛ لأن العفيف أمين في جميع شأنه، يأمنه الناس على أموالهم، وعلى أنفسهم، وعلى أعراضهم.

ولما كانت العفة في الصدر الأول رفعهم الله عَزَّوَجَلَّ، وأعلى شأنهم، كان أحدهم لا يأخذ ما ليس له، وهكذا لا يطلق بصره، وهكذا يقيد يده عما ليس له، استخدموا جوارحهم في طاعة الله، فسلموا وسلم منهم الناس، إلا بحق شرع ووجه شرعي.

ومن أعظم ما يتطلب فيه العفة المال؛ لأن أكثر الناس يتطلعون إلى المال، فتجد هذا يأخذه بالسرقة، وهذا يأخذه بالمسألة، وهذا يأخذه بالاستشراف، وهذا يأخذه



بالنهبة، وهذا يأخذه بالغصب، فينبغي أن تكون عفيفًا عما في أيدي الناس، راضيًا بما أعطاك الله ووهبه لك.

العفيف منشرح الصدر، مطمئن القلب، هادئ البال، رفيع الحال، بينما ضده يبقى متألمًا متنغصًا لما يرى في أيدي الناس، فلا أحسن من هذه الصفة العظيمة، ويدل عليها معنى الحديث الذي قيل فيه: خرج من مشكاة النبوة، ومع ذلك الحديث ضعيف: «ازهد فيما عند الناس، يحبك الناس»، كن عفيفًا عما في أيدي الناس يحبك الناس، الناس يبغضون المتطلع لهم، السائل لهم، الآخذ لأموالهم، ويرتاحون ويطمئنون للعفيف، ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣٦].

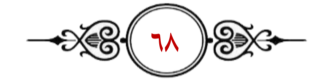
كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أعلى درجات العفة عن الحرام، وعن الآثام، وعن أموال الناس، وعن غير ذلك، وتأسي به أصحابه رَضِوَانُٱللَّهِعَلَيۡهِمۡ، فرفعوا في الدنيا والآخرة.

وفي آخر الزمان حصل العكس، ضاعت العفة، وانتشر الشر والفساد، وسوء الأخلاق، حتى أصبح الجار لا يأمن جاره، والصاحب لا يأمن صاحبه، قديمًا، قيل:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

هذا شاعر جاهلي، يخبر عن نفسه: أن من عفته أنه يغض الطرف عن النظر إلى جارته، كثير من الناس خالفوا هذا المقصد العظيم، فحصل البلاء العريض، وحصل ما هم فيه من الضعة والهوان، نسأل الله السلامة والعافية.





١٩ – كن طالبًا للعلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، **لكي تكون رفيعًا**، (**فكن طالبا للعلم**)، الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين سئل عن أكرم الناس: «**خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: العلم لا يزيد الشريف إلا شرفا، ويرفع المملوك على السرير، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين**».

فالعلم عباد الله سبيل للرفعة في الدنيا والآخرة، «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها**».

فإذا أردت أن تنال الرفعة من جميع أبوابها فعليك أن تسلك سبيل العلم، سبيل الصحابة، سبيل التابعين، وقبل ذلك سبيل الأنبياء والمرسلين، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع ما أولاه الله وأعطاه واجتباه يأمره ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يقول في دعائه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [سورة طه:١١٤]، مع أنه قد قال له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:١١٣].

فالله عَزَّوَجَلَّ كرم هذا الإنسان بأن علمه البيان، ولم يعد إلى الهوان إلا من ترك العلم أو العمل به،﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر:١-٣].

ومما يحفظه أكثر الناس:

العلـم يبنـي بيوتـا لا أسـاس لهـا ... والجهل يهدم بيوت العز والشرف

وقال بعضهم:

كـن عالمـا وارض بصـف النعـال ولا تكـن صـدرا بغيـر الكمـال

إذا تصـدرت بـلا حكمـة صـيرت ذاك الصـدر صـف النعـال

لإنسان يتزود من العلم الذي أنزله الله وأوحاه على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحفظه من تحريف المحرفين، ومن تأويل المؤولين، ومن تلاعب المتلاعبين، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩]، ليأخذ من ميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

الناس تتنافس على ميراثها من آبائها، وربما اقتتل الأخوة، وربما تهاجرت القبيلة، من أجل بعض متاع دنيوي، فكيف الآن نتنافس على ميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الميراث الذي به رفعة الدارين، والسلامة من أسباب العطب الدنيوي والأخروي.

حتى الكلاب المعلمة فُضلت على الكلام غير المعلمة، وأباح الله عَزَّوَجَلَّ أكل صيد الكلب المعلم، وحرم صيد الكلب غير المعلم، وهذا دليل على أهمية العلم، ومنزلة العلم، وشرف العلم.

ومن ذلك: أن العلم يدعيه من ليس من أهله؛ لشرفه، والجهل يتبرأ من قد تعمق فيه؛ لمذمته، نسأل الله السلامة والعافية.

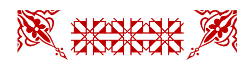
فعليك أخي المسلم أن تحرص على العلم، وعلى الاستفادة، سواء كنت طالب علم قد تفرغت، احرص أن تكون عالمًا معلمًا مبلغًا، أو كنت من عوام المسلمين، احرص على سماع ما يسره الله عَزَّوَجَلَّ من المواعظ والدروس والفتاوى، تنالك السعادة والرفعة والخير بقدر ما عندك من العلم.

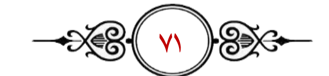
قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»، يقدم في الإمامة، ويقدم في الخطابة، وإذا مات مجموعة منهم قدم في القبر، وإذا كان يوم القيامة قدم على



غيره، جاء في فضل معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه يقدم العلماء يوم القيامة بِرُتْوَة، أي: برمية حجر؛ لعظيم علمه وفهمه ومنزلته.

والله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث نبيًا إلا بالعلم، وهكذا أتباع الأنبياء يتعلقون بهذه الشعيرة العظيمة، ونحن في آخر الزمان قد كثر الشر، وتنوعت البدع والفتن، فلا سلامة للأمة إلا بالعودة إلى العلم وأهل العلم، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الصدور، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**».





٢٠ - كن معلمًا

لكي تكون رفيعًا: (**كن معلم الخير للناس**)، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله وملائكته وأهل سماواته وأهل أرضه ليصلون على الذين يعلمون الناس الخير**»، وهذا الخبر العظيم من النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدل على أهمية تعليم الناس الخير، فالله عَزَّوَجَلَّ يصلي على فاعل هذا الفعل العظيم، وملائكة الله عَزَّوَجَلَّ تصلي وتدعو لهذه الخصلة الشريفة، بل وأهل السماوات وأهل الأرض، ولم يُذكر في حديث آخر أن مثل هذا الدعاء يكون لغير معلم الناس الخير.

ولذلك كان الأنبياء أشرف الناس، وأكرم الناس، وأفضل الناس؛ لتعليمهم الناس للخير، اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ وابتعثهم برسالته وأنزل عليهم كتبه؛ لتعليم الناس الخير، لأن تعليم الناس الخير دعوة إلى كل فضيلة، وتحذير من كل شر ورذيلة، دعوة إلى التوحيد، دعوة إلى العقيدة الصحيحة، دعوة إلى العبادة الخالصة، دعوة إلى حسن المعاملة، دعوة إلى تأدية الحقوق، بدءً بحق الله، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦]، وانتهاء بإزالة الأذى عن الطريق.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»، وفي رواية: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»، كانوا في الخيرية وفي الفضيلة ابتداءً بتعلمهم للخير، ثم بتعليمهم وإرشادهم ودلالتهم على الخير.

ولعظيم تعليم الناس الخير جعل الله عَزَّوَجَلَّ الدلالة إليه كأجر الفاعل سواء، فربما تدل إلى عمارة مسجد فيكون لك كأجر العامر سواء، مع أنك ما دفعت دينارًا ولا درهمًا، وربما دللت على قيام الليل، فجعل المنصوح يقيم الليل أبدًا، فلك كأجره سواء، وربما تكون نائمًا، وهكذا في جميع أمور الدين، الدال على الخير له كأجر فاعله.

هذا يدل دلالة عظيمة على رفعة الداعين إلى الخير، الحاثين عليه، المرشدين إليه، فلذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ آمرا هذه الأمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، لتكن منكم طائفة وهم العلماء ومن يأخذ عنهم، يدعون إلى الخير، فكانت رفعتها بدعوتها إلى الخير، واستمرارها على هذه الدعوة المباركة.

فهذا الباب باب عظيم، اختار الله له خُلَّص المؤمنين في كل زمن وحين، قبل ختم النبوة كان الله يبعث الأنبياء والرسل للقيام بهذا الخير العظيم، ويستفيد منهم من يستفيد، ويتعلم ويوجه، وبعد ختم النبوة بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختار الله لهذا الأمر العلماء ومن سلك مسلكهم وأخذ بطريقهم.

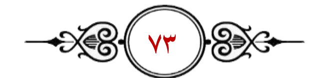
قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها**».

أمر عظيم أن تكون معلمًا للخير، دالًا عليه، مرشدًا إليه، الناس في هذه الأزمنة المتأخرة دلالتهم إلى الشر، أمرهم بالشر، دعوتهم إلى الشر، وأنت هيأك الله عَزَّوَجَلَّ للدلالة إلى الخير، والدعوة إلى الخير، والأمر بالخير، فهنيئًا لك ما دمت مع الخير، في حاضرك وماضيك ومستقبلك.

والخير كلمة عامة، يدخل فيها الإسلام وغير الإسلام، مما أمر الله به ودعا إليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال حذيفة: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»، وتعلمون قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب**»، وإنما يطلب العلم الطالب عند معلم الناس الخير، عند العالم الحريص على نفع المسلمين.

فهذا باب رفعة في الدارين، تجد العالم يرحل إليه الناس، ويستمعون لفتاواه، ويقرأون لكتبه، وهذا قد لا يوجد في غيره، فإذا أردتم الرفعة بارك الله فيكم فتعلموا ثم



علموا، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [سورة العصر:١-٣]، استثناهم الله من الخسران؛ لأنهم علموا وعملوا، وعلموا الناس الخير، والله المستعان.





٢١ - كن عادلًا

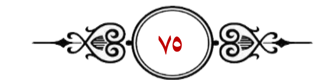
لكي تكون رفيعًا: (**كن عادلاً**)، فإن العدل به قامت السماوات والأرض، والعدل هو صفة الله عَزَّوَجَلَّ، والعدل هو صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعدل هو صفة الأخيار والأبرار، حتى لربما مُدح من كان عادلاً وإن كان كافراً، لكن لا ينتفع بعدله في الآخرة.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث من استكملهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:٩٠]، ويقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة المائدة:٨].

وقد امتدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإمام العادل، وأخبر أنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل الجنة كل ذي سلطان مقسط، أي: عادل، يلزم العدل، لاسيما في خصومات الناس، فإن العدل مطلوب لقيام الدول وحل النزاعات، بل ومطلوب في المسائل العلمية والعملية.

فتجد أن علماء السنة يلزمون العدل في أقوالهم وأحكامهم، ويحذرون من الظلم والجور؛ لما في ذلك من الشرور، والله عَزَّوَجَلَّ ينصب الموازين يوم القيامة؛ لإظهار عدله، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٩] ؛ لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة



فصلت:٤٦]، ومع ذلك حين يقضى بين العباد ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار تكون الدعوة: الحمد لله رب العالمين، حُمد على عدله في الكافرين، وعلى فضله في المؤمنين.

فإذا أردت أن تكون رفيعًا فالزم هذه الصفة الحميدة، صفة العدل، اعدل بين أبنائك، «اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم»، بين زوجاتك، بين خدمك، بين طلابك، بين من يليك، فإن من لزم العدل أحبه الناس، حتى ولو كان على أي حال، يستره عدله، ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه حين آذاهم قريش: «اذهبوا إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد»؛ لعدله.

ومن عدله: أن أعمامه قتلوا أباه، أي: النجاشي، بأمر من بعض لا يحسن الأمر، قالوا لأخي النجاشي: إن أخاك ليس له إلا ولد واحد، وأنت لك أولاد كثير، فنخشى إن مات أخوك ذهب الملك، فاقتل أخاك، وحاول معهم، قالوا: اقتل أخاك، قتل أخاه، والد أصحمة، فلما انتهوا من ذلك قالوا له: اقتل الولد لا يقتلنا بعد ذلك، قال: اتقوا الله، قتلت أخي، والآن تأمروني بقتل ابن أخي؟ قالوا: لا بد.

فما زال بهم حتى اتفقوا أن يبيعه، فجاء تجار من العرب فباعوا منهم أصحمة النجاشي، فأخذوه، ثم إن أهل الحبشة اجتمعوا لجعل الملك عليهم، فدخلوا على أبناء ذلك الرجل فوجدوهم لا يصلحون للملك، كلهم فيهم شيء، وكانوا إحدى عشر، فقال لهم أخوهم: بعتم ملككم، أي: الرجل العادل الحازم السائس الذكي بعتموه، فعند ذلك رحلوا يبحثون عنه، فوجدوه في الميناء قبل أن يصعد إلى السفينة، فأخذوه قسراً، فقال لهم الناس: أعطونا حقنا، قالوا: ما عندنا لكم حق، فأرجعوه إلى بلدهم، ونصبوه ملكـًا عليهم، ولم يؤاخذهم في جريرة أبيه.

ثم جاء هؤلاء التجار دخلوا عليه وهو في أبهة الملك، لم يعرفوه، قالوا له: أيها الملك جئنا إلى هذه البلدة، واشترينا عبداً منهم، ثم إنهم ظلمونا وأخذوا عبدنا ولم

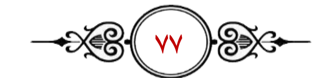


يعطونا حقنا، فالتفت إليهم وقال: أعطوهم حقهم، قالوا: لا نعطيهم، قال: والله لتعطونهم حقهم، أو ليأخذوا عبدهم، فعند ذلك دفعوا لهم المال.

وهذا هو معنى قوله في الحديث: لم يأخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فنزل الصحابة عنده فكانوا في خير جوار، رجل عادل، مُدح وأثني عليه.

وتقوم الدول بالعدل ولو كانت كافرة، وتنتهي الدول بالظلم وإن كانت مسلمة، العدل سبب رفعة الدنيا وسبب رفعة الآخرة، كن عادلاً في أقوالك، لا تتكلم إلا بالحق، عادلاً في أفعالك، لا تفعل إلا بالصواب، في صلاتك، في صيامك، في حجك، في قيامك، كن عادلاً في اعتقاداتك، اعتقد العقيدة الصحيحة التي توافق الكتاب والسنة، ما كان من الكتاب والسنة فهو العدل، وما خالفهما فهو الجور والقسط، نسأل الله السلامة والعافية.





٢٢ - كن منصفًا

꧁ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن منصفًا**)، والإنصاف كما قيل في اسمه: عزيز، إذ أنه لا يصدر إلا من أهل العدل والإخلاص، ومحبة الخير للغير، والحرص على ظهور الحق.

قال عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث من استكملهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

الإنصاف من نفسك أي: إذا توجب عليك حق بادرت إلى أدائه، وإذا وقع منك خطأ بادرت إلى التحلل منه، وإذا كانت ثمت مناظرة بينك وبين غيرك كان القصد ظهور الحق لا الانتصار بالباطل.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت أن يغلبني.

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت إذا نظرت أحدًا تمنيت أن تكون الحجة التي عندي عنده، لأن شأنهم لم يكن على المغالبة.

ولو لزم الناس الإنصاف؛ لما رُفعت قضايا إلى الحكام والمحاكم، ولو لازم الناس الإنصاف لما وقعت الخلافات، وإن وقعت انتهت، لكن الواقع أن هذه المنزلة شريفة، رفيعة، عزيزة، لا يتصف بها إلا الكرماء العظماء، الذين قال عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأن تؤدي إلى الناس ما تحب أن يؤدى إليك**» أي: من الخير.

فإذا تحليت بهذه المزية وبهذا الخلق الرفيع فأنت من المنصفين، الإنصاف يحملك على قول الحق بالحق، وعلى التوبة من الباطل، الإنصاف يجعلك مبغضًا للظلم والتجاوز، محبًا للخير، محبًا لإخوانك.

فهكذا عباد الله إذا أردت أن تكون رفيعًا فكن منصفًا، مع زوجتك، مع ولدك، مع جارك، مع شيخك، مع طالبك، مع عدوك، مع صديقك، مع الجميع، تحل بالإنصاف، تصل إلى أعلى الرتب، وأعظم القيم.

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقع بينه وبين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مغاضبة، فجعل أبو بكر يعتذر من عمر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقبل العذر، فجاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شمر ثوبه، فقال: «**إن صاحبكم قد غامر**»، فلما جاء ذكر القصة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**ادعوا لي صاحبي، فإنكم قلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»، وذكر القصة، فجعل أبو بكر يقول: يا رسول الله، أنا كنت أظلم، يا رسول الله، أنا كنت أظلم؛ خشية أن يأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا حين غاضب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقراء المهاجرين: عمار، وابن مسعود، وبلال، حين قالوا: لم تأخذ سيف الله من عدو الله – من أبي سفيان – مأخذها؟ قال: أتقولون هذا سيد قريش؟ أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا أبا بكر، إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك**»، فذهب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم وقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يرحمك الله يا أبا بكر.

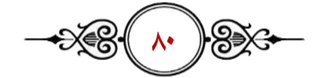
الإنصاف شيء عظيم، صفة عظيمة، تحلى بها الكرماء، تحلى بها العظماء، لا سيما طالب العلم يحتاج إلى الإنصاف في أحوال، الحال العلمي، فلا يأخذ من الأقوال إلا ما يدل عليه الدليل، وأخذه تعبداً لا تقليداً، وينصف في نقل الحجج له أو عليه، لا يكتم الحق، ويحتاج إلى الإنصاف في اتباع الحق إذا ظهر، ولو من غيره، ويحتاج إلى الإنصاف في حياته العملية، في التعاملات مع الغير، من زوجة، أو ولد، أو جار، أو صديق، أو صاحب، أو عدو، أو قريب، أو بعيد.



فإذا تحليت بهذه الصفة صفة الإنصاف أحبك البعيد قبل القريب، وربما حمدك العدو قبل الصديق، يقول عمار كما تقدم: فقد استكمل الإيمان، ومن استكمل الإيمان عظم شأنه، لأنه ما يستطيع أن يلزم الإنصاف إلا رجل يراقب الله، حريص على متابعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أدى به الأمر إلى أن ينصف من نفسه، ما يحتاج إلى شهود، وإن أخطأ لا يحتاج إلى إنكار، وإنما يبادر بالاعتذار.

والحمد لله أهل السنة وطلاب الحديث من أحرص الناس على الإنصاف، سواء كان ذلك في جرحهم أو في تعديلهم، في حال رضاهم وفي حال سخطهم، وهذا في الجملة، وإن وجد غير ذلك فهذا تصرف يحسب على صاحبه، لا يضاف إلى الشريعة والملة، الشريعة معصومة من كل باطل، والله المستعان.







٢٣ - كن متميزًا

۞ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن متميزًا عن أهل الباطل**)، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بذلك رسله، وأنزل بذلك كتبه، التميز عن أهل الباطل من أجل وأظهر علامات المؤمنين، ولهذا أوجب الله عَزَّوَجَلَّ مخالفة الكافرين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم:٣١]، لا في أقوالهم، ولا في اعتقاداتهم، ولا في أفعالهم، ولا في جميع شعائرهم.

فالكافرون والمنافقون ومن إليهم رُكسوا ووضعوا، وأصابتهم الذلة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [سورة المجادلة:٢٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة المجادلة:٥]، والرفعة لمن تميز عن الباطل وأهله، والضعة لمن التحق بالباطل وأهله، نسأل الله السلامة والعافية.

فإذا أردت أن تكون رفيعًا فتميز عن أهل الباطل ابتداء بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الذي من أجله خُلق الجن والإنس، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، الذي أُرسلت به الرسل، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

والله عَزَّوَجَلَّ أمر المؤمنين بهذه الشعيرة العظيمة، وتعين عليهم أن يتميزوا عن المشركين فيها، ولذلك نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ تميزًا عن عبّاد الشمس، ونهى عن الصلاة في المساجد التي فيها قبور والتي على القبور؛ تميزًا عن أهل الشرك، ونهى عن كثير من المخالفات في باب التوحيد؛ تميزًا عن أهل الشرك.

وهكذا أمر بالصلاة، وحث ورغب عليها تميزًا عن أهل الكفر، وأمر بالإخلاص؛ تميزًا عن أهل النفاق، وأمر بالمتابعة؛ تميزًا عن أهل البدع، وأمر بالطاعة؛ تميزًا عن أهل المعصية.

فعلى المسلم: أن يكون متميزًا، ملازمًا للحق وأهله، مبتعدًا عن الشر وأهله، ولهذا الأمر التميز عن أهل الباطل شرع الله هجر أهل البدع، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:٦٨]، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ﴾ [سورة الكهف:٢٨].

تميز عن أهل البدع، لا تجالسهم، ولا تناصرهم، ولا تتأسى بهم، فهم قوم قد انتحلوا غير السنة، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الشورى:٢١]، تميز كذلك في لباسك، اللباس الشرعي، تميز في حلاقتك، تميز في نومك، تميز في بصرك، وفي سمعك، وفي كلامك، كن متميزًا عن كل رذيلة، متبعًا لكل فضيلة، هنا ترفع ولا توضع، وأما إذا كان الحال العكس فإنك توضع ولا ترفع.

وينال الإنسان الرفعة بقدر استقامته، فالرفعة تزداد بزيادة الإيمان، وتنقص بنقص الإيمان، حتى في الآخرة الناس في الجنة على قدر رفعتهم في الدنيا، فمن كان رفيعًا بالإيمان كان رفيعًا في الجنة، ومن كان من أهل الكفران كان وضيعا في أسفل الدركات، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥].

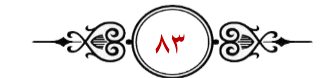
شرع الله الهجرة عباد الله؛ للتميز عن أهل الباطل، والهجرة هجرتان: هجرة الحاضر، وهجرة الباد، فهجرة الحاضر: أن تتميز عن أهل الباطل بأفعالك وأخلاقك وأقوالك ومعتقداتك، وجميع شأنك، وهجرة الباد: أن تتحول ببدنك عن أهل الباطل إلى أهل الحق.



انظروا إلى ذلك الرجل الذي قتل مائة نفس لم يستطع أن يقيم دينه بين أهل الباطل، كلما غضب قتل، حتى قال له رجل: إنك في أرض سوء، اذهب إلى أرض كذا، فإن فيها أناسًا يعبدون الله فاعبده معهم، فحين تميز عنهم مع أنه لم يصل إلى أهل الحق لكن قبضه الله على النية الطيبة، فأخذته ملائكة الرحمة.

مجالسة أهل الباطل، موافقة أهل الباطل، الرضا بحال أهل الباطل، سيئ جدًا، فعليك أن تتميز عبد الله، ترفع في دنياك وأخراك، ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [سورة يس:٥٩]، إذا لم تتميز عن المجرمين في الدنيا ستتميز عن المستقيمين في الآخرة، نسأل الله السلامة والعافية.





٢٤ - كن ورعاً عن الحرام

﴾ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن مبتعدًا عن الحرام، ورعًا عنه**)، فإن أكثر ما يؤدي بالناس إلى الضعة هو معاقرة هذا البلاء، والله عَزَّوَجَلَّ أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، سواء القولية أو الفعلية، سواء المأكولة أو المشروبة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٣٣].

فالمحرمات منها محرمات حسية: كأخذ أموال الناس بالباطل، وتعاطي الزنا والحرام، ومنها محرمات معنوية: كالفتوى بغير علم، والبدع، والقيل والقال، وكثرة السؤال، إلى غير ذلك، فإذا كان الإنسان مريدًا للرفعة حريصًا عليها فليكن مجانبًا للحرام، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [سورة المجادلة:٢٠]، وفي الحديث: «**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري**».

وأنتم ترون في واقع الحال أن أصحاب الذنوب والمعاصي وأن من يعاقر الحرام في ذلة وهوان، وضيق صدر، وقلة رزق، وعدم بركة، وهذا كله من أسباب الضعة لا الرفعة، بينما الملازم للطاعات والقربات، الطائع لرب الأرضين والسماوات، والمتابع لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير البريات، يجد الرفعة العظيمة، والسعة الكثيرة، والبركة الوفيرة، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولما كانت هذه الأمة خير الأمم وأفضل الأمم حرم الله عليها الخبائث التي هي سبيل الخسة والنذالة، وأحل لها الطيبات التي هي سبيل الرفعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]، لرفعتها؛ أباح لها كل خير، وحذرها من كل شر وضير، ولذلة وخسة غيرها؛ وقعوا في محارم الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٦١].

باءوا من الله بالغضب؛ لكثرة ارتكابهم للحرام، ولتحيلهم على الحرام، كما هو معلوم في قصص بني إسرائيل، «**قاتل الله اليهود، حرم عليهم الشحوم، فجملوها وباعوها، وأكلوا ثمنها**»، صاروا في لعنة وبعد عن رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

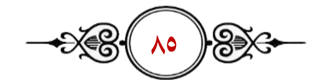
بينما المؤمن أمره الله بالابتعاد عن الشبهة، فضلاً عن الحرام البين الواضح، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحلال بين، والحرام بين**»، يعني الحلال الذي أحله الله بين، يكفي لمن أراد الله الدار الآخرة، والحرام بين واضح جلي، فعلى المسلم أن يكون بعيدًا عنه، «**وبينهما أمور مشتبهات**»، بين الحلال والحرام، يشتبه الأمر على بعضهم، أما على العلماء ومن إليهم فلا يشتبه، لكن قد يشتبه على بعضهم: هل هو من الحلال فيؤخذ أم هو من الحرام فيجتنب؟

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**».

الشاهد: أن المسلم مأمور بالابتعاد عن الحرام، ومأمور بالابتعاد عما هو مظنة الحرام، حتى يرفع ويسلم من الذلة والهوان.

انظروا، حين كان الناس يحرصون على الحلال الطيب أغناهم الله بعد فقر، وقواهم الله بعد ضعف، ورفعهم الله بعد ضعة، ونصرهم الله بعد هزيمة، وجمعهم الله بعد فرقة، وعلمهم الله بعد جهل، ولزموا كل فضيلة، بعد أن كانوا على الرذيلة، رفعوا رفعة عظيمة.

بينما كثير من الناس الآن لما تعاقروا الحرام وابتعدوا عن الطاعات حصل عليهم العكس، فصاروا أذلة بعد عز، وصاروا فقراء بعد غنى، وصاروا ضعفاء بعد قوة، وصاروا في ضيقة بعد سعة، والله المستعان.



النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه رجل قال: يا رسول الله، أرأيت إن أحللت الحلال، وحرمت الحرام، وصليت وصمت، أدخل الجنة؟ قال: «**نعم**»، قال: «**أفلح إن صدق**».

فانظروا إلى هذا الشأن العظيم، شأن الاعتناء بالحلال الطيب، والابتعاد عن الحرام الخبيث؛ لما يجر إليه من الضعة وسوء الحال، والله المستعان.





٢٥- كن فطناً لسبل الخير حذراً من سبل الشر

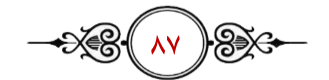
لكي تكون رفيعًا: (**كن فطنًا لطرق الخير حذرًا من سبل الشر**)، فإن هذا من أعظم أسباب الرفعة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة:١٤٨]، فأين وجدت سبيل خير فاسلكه، وأين رأيت سبيل شر فاحذره، فإن المسلم يُرفع بالطاعة، ويذل ويوضع بالمعصية.

فالإنسان يستغل الفرص أين وجدها وأين لقيها، فإن تيسر له الجماعة بادر إليها، وإن تيسر له العلم بادر إليه، وإن تهيأ له حج سار إليه، وإن تهيأت عمرة بادر إليها، وإن وجد وقتًا للذكر والدعاء لزمه، لا بد أن يكون هكذا، وإلا ضاع عمره وذهبت أيامه، وانقضى أجله بغير ربح ولا فائدة.

الصحابة رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ كانوا إذا سمعوا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرًا بادروا إليه، ولازموه وثبتوا عليه، ولهذا رُفعوا رفعة لا بعدها ولا قبلها، رفعة الصحابة رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، بسبب حرصهم على الخير، وبسبب مسارعتهم، وبسبب فطنتهم.

انظروا إلى ثوبان، وإلى أبي فراس، كلاهما يعرض عليهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا مقابل خدمتهما، فيسألانه المرافقة في الجنة، فقال لأحدهما: «**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**»، وقال للآخر: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»، مبادرة وحرص وفطنة وذكاء لسبل الخير.

فالمسلم يحرص كل الحرص على كل سبيل خير، فإنه طريق إلى لجنة، ويحذر كل الحذر من كل سبيل شر، فإنه سبيل إلى النار، إن لم يتجاوز الله عنه، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [سورة الإنسان:٣-٥].



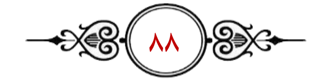
فالإنسان بين حالين لا ثالث لهما، هذا في العاقبة، وأما في الدنيا فإما أن يكون حاله إلى الإيمان الخالص، وإما أن يكون حاله إلى الكفر الخالص، وهو بين ذلك في شعب، فاستكثر من شعب الخير، «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، - أو بضع وستون شعبة - أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

كلما وجدت فرصة لخير كن فطنًا في اقتناصه وفي الأخذ به، تُرفع في الدارين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أربعون خصلة، أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بواحدة منها رجاء ثوابها وتصديق وعدها إلا أدخله الله الجنة**»، وامرأة كان لها تمرة شقتها بين ابنتيها، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوجب الله لها بها الجنة وحرمها على النار**».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، بادر عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**أنت منهم**».

انظروا إلى هذه الفطنة وهذا الذكاء، وهذا الحرص على الخير، وهكذا كانوا جميعًا في المبادرة والمسارعة، واتقاء سبل الشر، وسلوك سبل الخير، ولهذا رفعهم الله عَزَّوَجَلَّ.







٢٦ - كن رحيماً

ꕥ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن رحيمًا**)، فإن صفة الرحمة صفة عظيمة، ولهذا اتصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، واتصفت بها رسله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، فرحم الله عَزَّوَجَلَّ البشرية بإرسال الرحماء إليهم، يدلونهم إلى المكارم، ويحذرونهم من الشرور، أرحم بالأمم من آبائهم وأمهاتهم، بل ومن أنفسهم.

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يترك العمل وهو يحب أن يعمله؛ مخافة أن يفرض على أمته؛ رحمةً وشفقًا عليهم، وذكر أمته يومًا فجعل يبكي بأبي هو وأمي، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا جبريل، اذهب فسأل محمدًا - وربك أعلم -: ما يبكيك، فجاءه وقال له: ما يبكيك؟ قال: «**أمتي أمتي**»، فقال جبريل: يا الله، يقول: «**أمتي أمتي**»، قال: قل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

رحمة عظيمة، هذا النبي الرحيم، حتى كان يرحم الحيوان، ويرحم الإنسان، فعلى من أراد الرفعة أن يتحلى به، وأن يتصف بهذه الصفة العظيمة، فإن الرحمة لا تنزع إلا من شقي، «**والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

فكلما كنت رحيمًا كلما كنت رفيعًا عند ربك سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ثم عند الصالحين من عباده، فإن طبيعة الناس محبة الرحماء، والإحسان إليهم، والتأثر بأفعالهم، وطبيعة الناس بغض الغلاظ الأشداء، والنفرة منهم، قد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**».

ورحمة الله واسعة، ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٦]، ومن تقوى الله: أن تكون رحيمًا بعباد الله، بل رحيمًا بنفسك، لا يجوز أن



تكلف نفسك ما يتعبها وما لا تستطيعه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦]، والله عَزَّوَجَلَّ ما فرض علينا إلا ما نستطيعه، وما أمرنا به إلا وهو في قدرتنا، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن:١٦].

فارحموا أنفسكم عباد الله بطاعة الله، وارحموا غيركم عباد الله بامتثال أمر الله فيهم، وكونوا دعاة إلى الرحمة الشرعية، لا كحال النصارى واليهود الذين يزعمون الرحمة، وهم من أفجر ما يكون، ومن أشد ما يكون على الإنسان والحيوان، وإنما أنشأوا جمعيات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب؛ لستر سوآتهم وعيبهم، وإلا فهم أشد ما يكون على إنسان، لا سيما على مسلم، نزعت من قلوبهم الرحمة والشفقة؛ لبعدهم عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

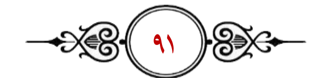
وتجد في المسلمين الرحمة والشفقة؛ لقربهم من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إلا ما تعين فيه الغلظة وأغلظ عليهم، ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة:٧٣] هكذا يأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [سورة التوبة:١٢٣]: شدة.

وهكذا منتهك الحرام إذا تعينت عليه الحدود، كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ في جلد الزناة والزواني: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور:٢].

وهكذا ما يقع من علماء المسلمين في التحذير من أهل البدع، وإن كانت صورته الغلظة عليهم للتحذير من شرهم فهو رحمة بهم؛ حتى لا يكثر المتابعون لهم على الباطل فيأثمون، ورحمة بهم لعلهم أن يتوبوا أو ينزجروا عما هم فيه من الباطل، ورحمة بالأمة حتى لا تتابع الباطل.

فعلينا عباد الله أن نحقق هذه الصفة العظيمة؛ لننال بها الرفعة عند ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحمد لله.





٢٧ - كن رفيقًا

❧ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن رفيقًا**)، فإن الرفق صفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»، ويقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**».

وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رفيقًا بأمته، رفيقًا بأتباعه، في قوله وفي فعله، وفيما يبلغه لهم، فلما أمره الله عَزَّوَجَلَّ بخمسين صلاة ما زال يتردد حتى قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**هي خمس وهي خمسون، ما يبدل القول لدي**».

ولما رآهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يواصلون نهاهم عن الوصال؛ رحمة ورفقًا بهم، وقال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»؛ رفقا بهم، وأخر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ العشاء ليلةً ثم قال: «**لولا أن أشق على أمتي إنه لوقتها الآن**».

فكان رحيما رفيقا بأمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهكذا الرفق صفة الصحابة رَضِوَانُاللَّهِعَلَيْهِمْ، صفة أبي بكر الصديق، لرفقه أنفق ماله في شراء المستضعفين من عبيد المسلمين، ثم يقوم بإعتاقهم، لازم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حضره وسفره، لرفقه قام بشأن الأمة بعد نبيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على خير قيام، وهكذا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبقية الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين.

فإن الرفق يولد الرفق، ويأتي بالخير، والعنف يولد العنف ويأتي بالشر والضير، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، فدله الله عَزَّوَجَلَّ على لزوم ما يكون رفقا بهم.

وربما يكون الأمر الذي تؤمر به في الشرع تراه عليك ليس برفيق وفيه الرفق العظيم، قال زهير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نهانا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن أمر كان لنا فيه رفقًا، وطوعية الله أرفق لنا، لأنه نهاهم عن المزارعة، التي صورتها: لك هذا ولي هذا، فربما أنتجت هذه ولم تنتج هذه.

وأما المزارعة التي أباحها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهي ما تكون على الذهب والفضة، تؤجر منه المزرعة ويستأجر منك، أو تكون مشاركة على ما يخرج منها بدون تحديد لجانب من جوانبها.

وكم هي المواقف العظيمة الكثيرة التي فيها الرفق بالناس في حال دعوتهم وفي حال أمرهم ونهيهم! كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يغضب من شأنه، إلا أن تنتهك حرمة الله فيغضب لله عَزَّوَجَلَّ.

الرفق صفة رفعة لمن تخلق بها واتصف بها، لا سيما من الدعاة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإذا كان لا بد من غضب فليكن لله، وعلى وفق هدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ حتى لا يقع التنفير من الخير، فإن الباطل قد استشرى في الأمة، والحق ثقيل، فإن كان مع الحق شدة كان الناس في بعد عنه، الشدة تزيدهم بعدًا عنه، وإذا كان الحق يُوصل بالرفق قد يستجيب له من شاء الله، وتجد المخالفين كثر.

فالرفق زين جدًا، ممدوح على الأبناء، ارفق على أبنائك، ارفق على زوجتك، أرفق على والديك، أرفق على أصحابك وطلابك وإخوانك، كن رفيقًا، بشوشًا، رحيمًا، رقيقًا، فإن طبيعة الناس أن تحب من هذا حاله، وقبل ذلك كما تقدم الحديث: «**إن الله يحب الرفق**»، وإذا أحب الله الرفق أحب الرفيق المسلم، «**ويعطي على الرفق**» أي: من الأجر «**ما لا يعطي على سواه**»، ويحصل من الرفق ما لم يحصل بسواه.

أحيانًا تريد أمرًا وتعالجه بغلظة وشدة، فقد لا تصل إلى المطلوب، بل تحصل النتيجة المعاكسة، وإذا عالجته برفق ويسرية وصلت إليه، وهذا هو المطلوب، وهذا هو المؤمل، فإذا أردت أن تكون رفيعًا فكن رفيقًا، حتى بنفسك.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضب على أناس أرادوا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة، **قال أحدهم**: لا أتزوج النساء، يريد يتعبد، يصلي ويصوم متفرع ما معه امرأة ولا معه أولاد.

والثاني قال: لا أنام الليل، يريد يصلي، ليس على واتساب، ولا على فيسبوك، ولا على يوتيوب، ولا على الفساد، يريد يصلي.

والثالث قال: لا آكل اللحم، يريد يتزهد ويتنسك.

قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد أمام الناس وقال: «**أين الذين قالوا كذا وكذا؟**» قالوا: يا رسول الله، نحن، وما أردنا إلا الخير، قال: «**أما إني أتزوج النساء، وأنام وأقوم، وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، فأمرهم أن يرفقوا بأنفسهم.

ولما دخل وزينب تصلي في المسجد، وتربط حبلًا إذا فترت تعلقت بالحبل، قال: «**حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»، ولما رأى رجلًا صام في السفر وقد أغمي عليه قال: «**ليس من البر الصيام في السفر**».

والله عَزَّ وَجَلَّ لرفقه بالأمة لم يكلفهم غير وسعهم، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن:١٦]، «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»، و«**هلك المتنطعون**»، الذين لا يلتزمون الرفق يهلكون، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هلك المتنطعون**»، ثلاثا، يدعو عليهم، ويخبر عن حالهم.

ولما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل إلى اليمن مع أبي موسى الأشعري أمرهما بالتيسير والرفق وعدم التعسير: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**».

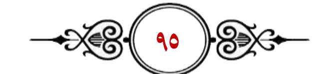


بل أمر بالرفق بالحيوان: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، اركبوها صالحة، واتركوها صالحة**»، وأمر بالرفق بالعبيد والإيماء.

وكان ﷺ رفيقًا في جميع شأنه، وآمرًا بالرفق في جميع شأنه، والرفعة في الأخلاق الحميدة، في متابعة النبي ﷺ، في الأخذ بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والرفق قد يكون جبلة، طبيعة عند كثير من الناس يكون رفيقًا، تعوده من صغره، ونشأ عليه في كبره، وقد يكون مكتسبًا، تتحصل عليه بتعويد نفسك الرفق، حتى وإن كانت فيك نوع شدة عود نفسك الرفق، وحسن التعامل في وأطرها عن الباطل، وعن الشدة، وعن العنف، بعلمك بفضائل الرفق، وبما يتوصل إليه الإنسان بالرفق، والله المستعان.





٢٨ - كن حليمًا

ﮩ **لكي تكون رفيعًا**: (**كن حليمًا صبورًا**)، فإن الحِلم والصبر من أعظم صفات الرفعة، وقد اتصف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهاتين الصفتين الجليلتين العظيمتين، فالحليم هو الذي يؤخر العقوبة، والصبور هو الذي لا يعالج كذلك بالعقوبة، ولذلك قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يجعلون له الصاحبة والولد، ثم هو يرزقهم ويعافيهم**».

وامتدح النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أشج عبد قيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم الأناة**»، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أفضل الإيمان: السماحة والصبر**»، وقد تخلق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالحلم، وكان يعفو ويصفح ويستأني بالكافرين، لعل الله أن يخرج من أصابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا.

وفعلا تحقق ما كان يرجوه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصبر على الشدة، وصبر على الأذى، وصبر على العمل والتبليغ، فكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذروة في هذه الأبواب العظيمة.

الحلم: هو التجاوز وعدم المعاجلة بالعقوبة، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدي من شاء، ويوفق من شاء، ويعفو عمن شاء، ولعله أن يصلح شأن هذا المدعو والصبر، وكان عاقبة ذلك الحمد والثناء.

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**».

فإذا أردت أن تكون رفيعًا فكن حليما صبورًا، فالغضب من الشيطان، إلا أن يكون لانتهاك حرمة الله، ولذلك قال رجل: يا رسول الله، أوصني؟ قال: «**لا تغضب**»، قال:

أوصني؟ قال: «**لا تغضب**»، ردد مرارًا وهو يقول له: «**لا تغضب**»، قال الراوي: فنظرنا، فإذا عامة الشر من ذلك.

فإن الغضوب يعالج الأمور بالعقوبة، فربما ضرب، وربما شتم، وربما طلق وفارق، وربما أساء، بينما الحليم والصبور يتجاوز، ويجد أثر ذلك، فإن العفو يولد العفو، والصبر يولد الصبر، و ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن:٦٠].

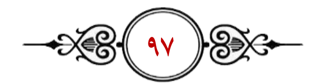
والكرماء يتأثرون بالمواقف أكثر من تأثرهم بالأقوال، فالداعي إلى الله كلما كان حليمًا صبورًا كلما نفع الله عَزَّوَجَلَّ به وأكثر، والمسلم من حيث هو كلما كان حليمًا صبورًا كلما وجد أثر هذا الوصف العظيم في حياته، سواء في سعة صدره، فالحليم الصبور واسع الصدر، بينما الغضوب ضيق الصدر.

الحليم الصبور مرتاح النفس، مطمئن البال، الحليم الصبور محسن إلى غيره، الحليم الصبور لا يتعجل في أمور له فيها أناة فيلحقه بعد ذلك العنت والتعب والنصب، الحليم الصبور محبوب عند الناس، مرفوع عند الناس، مقرب عند الناس.

الحليم الصبور مع أهله من أحسن ما يكون من الأزواج، ومع أبنائه من أحسن ما يكون من الآباء، ومع إخوانه من أحسن ما يكون من الأخوة والصحبة، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخبر أن: «**خيركم خيركم لصاحبه، خيركم خيركم لجاره**»، والحليم الصبور شأنه عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، ثم عند الصالحين.

فتخلقوا يا رعاكم الله بهاتين الصفتين العظيمتين الجليلتين، التي اتصف الله بهما، واتصف بهما رسله، واتصف بهما الصالحون من عباده، واتصف بهما الكرماء، والله المستعان.





٢٩ - كن مسارعًا إلى الخيرات

لكي تكون رفيعًا: (**كن مسارعًا إلى الخيرات**)، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٨]، ويقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، ويقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [سورة الحديد:٢١]، ويقول: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

فالمسارعة إلى الخيرات من أسباب الرفعة في الدنيا وبعد الممات؛ لأن المسارع إلى الخيرات يسارع إلى الله، ويسارع إلى مرضاته، ويتأسى برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، مقتدي بالسلف الصالحين، دليل على عظيم إيمانه ومحبته لله عَزَّوَجَلَّ.

فالإنسان عليه أن يكون سريعًا في الخير، متأنيًا في أمور الدنيا، «**العجلة من الشيطان**»، وأما في أمور الآخرة فليكن مسارعًا مبادرًا، كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يكون في خدمة أهله، فإذا سمع النداء للصلاة خرج كأنه لا يعرفهم، كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يومًا يصلي، ثم خرج مسرعًا بعد سلامه، فقيل له في ذلك فقال: «**ذكرت شيئًا من تبر الصدقة كان عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته**».

وهكذا أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وعمر رضي عنه، عُلموا بالمسارعة إلى الخيرات، حتى في التبشير بالخير، خرج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليلة مع أبي بكر وعمر، فوجدوا عبد الله بن مسعود وهو يصلي، فقرأ سورة النساء فسحلها حتى ختمها، ثم جعل يقول في سجوده: اللهم أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أعلى جنات الخلد، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**سل تعطه، سل تعطه**»، فذهب عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبشر عبد الله بن مسعود، فوجد أن أبا بكر قد سبقه، فقال: أما وإن فعلت لقد كنت سباقًا إلى الخير.

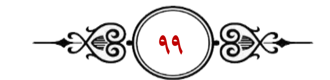
وهكذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا بالصدقة، ووافق عند عمر شيء من ماله، قال: إن سبقت أبا بكر لأسبقنه اليوم، فتصدق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنصف ماله، فإذا به يجد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تصدق بماله كله في سبيل الله، مسارعة إلى الخيرات.

ينادي منادي الجهاد فيخرجون سراعا، حتى أن الغسيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سمع نداء الجهاد وهو يخشى زوجته، فلم يغتسل من جنابته، بل سارع إلى القتال في سبيل الله، وقُتل واستُشهد، فغسلته الملائكة بعد ذلك؛ إكرامًا وإعظامًا لمسارعته إلى الخير، إكراما للمؤمن، نعم عباد الله.

فينبغي للمسلم أن يكون مسارعًا إلى الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن المسارعة سبيل الرفعة، جاء يتيم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إن لهذا نخلة أقيم بها حائطي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل: «**أعطه نخلتك بنخلة في الجنة**»، فأبى، فسمع أبو الدحداح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاء إلى الرجل وقال: تبيعني نخلتك بحائطي؟ قال: نعم، نخلة بحائط، اشتراها أبو الدحداح، ثم ذهب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: يا رسول الله، إني قد اشتريت هذه النخلة بحائطي، فهل إذا أعطيتها تكون لي نخلة في الجنة؟ قال: «**نعم**»، قال: هي لك يا رسول الله، فضعها حيث شئت، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كم من عذق مدلّا لأبي الدحداح في الجنة!**».

مسارعة إلى الخيرات، في الرجال، في النساء، في الصغار، في الكبار، من الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فلذلك رفعوا الدرجات العلى، والنعيم المقيم.

ونحن نسأل الله السلامة والعافية أصبح التواني في المسارعة إلى الخيرات، أصبح الكسل في الواجبات، والفرائض المتحتمات، فضلاً عن المستحبات والمندوبات،

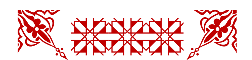


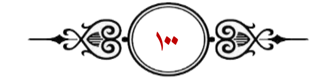
فإذا أردت أن تكون رفيعًا فسارع إلى الخير، كلما سارعت كانت رفعتك وكانت منزلتك بقدر مسارعتك.

لأن المسارع يدل على محبته لله لمن تقرب إليه، يدل على مراقبته لله عَزَّوَجَلَّ، يدل على إخلاصه وتفانيه، وأما التباطؤ عن الخير فهو فعل المنافقين، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٤]، وهكذا كانوا إذا خرجوا مع المجاهدين مثبطين، ساخرين مستهزئين.

فبادر يا أخي، بادر إلى كل خير، إلى ذكر الله، إلى العلم، إلى العمل، إلى الدعوة، إلى الصبر، إلى الصلاة، إلى الزكاة، إلى الحج، إلى الصيام، كلما وجدت لك فرصة للمسارعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ فلا تتأخر ولا تتوانى.

والعمر يمضي، والأيام تذهب، فإن لم نسارع آجالنا بالأعمال الصالحة قطعت آجالُنا أعمالَنا، والله المستعان.





٣٠- كن ملازمًا للطاعات والمبرات حتى الممات

وهذا هو المجلس الأخير إن شاء الله تعالى، من نصائحنا المعنونة: **(لكي تكون رفيعا)**، ونختمها بهذه النصيحة التي نرجو نفعها.

فلكي تكون رفيعًا كن: (ملازمًا للطاعات والمبرات حتى الممات)؛ لأن الإنسان إذا لم يكن كذلك لحقه النقص والضعة بقدر فتوره في هذا الباب، فمن كان من المسارعين وكان من الثابتين على دين رب العالمين وكان من المشمرين حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ فهنيئًا له، ومن وقع منه النقص حتى وقع في المعاصي والسيئات لحقه من الضرر بقدرها، وأما إذا ارتد عن دين الله فقد لحقه الخزي والبوار في الدنيا ودار القرار.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«بادروا بالأعمال، فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرصًا منه على الطاعات والمبرات وتعليمًا للأمة؛ كان يدعو كثيرًا: **«يا مصرف القلوب، صرف قلبي على طاعتك»**، **«يا مثبت القلوب، ثبت قلبي على دينك»**، يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالثبات على هذا الدين، والاستمرار عليه، وعدم التغير منه.

وهكذا أصحابه، كان من دعاء عبد الله بن مسعود وسمعه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقره عليه، وهو يقول: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى جنات الخلد، شاهدنا قوله: وإيمانا لا يرتد، كانوا يتخوفون على أنفسهم من الانحراف عن الدين، ويدعون لأنفسهم بالثبات على هذا الدين والاستمرار عليه.

وكان من دعاء ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اللهم لا تسلب مني الإيمان بعد إذ أعطيتنيه.

لا بد للمرء المسلم أن يلازم الطاعة حتى يوافي الله بها، ويلقى الله عَزَّوَجَلَّ بها، فإن الأعمال بالخواتيم، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه.

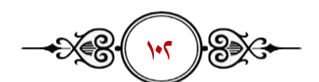
فإذا أردت أن تكون رفيعًا فكن ملازمًا للطاعات والمبرات متقربًا إلى رب الأرضين والسماوات، متأسيا بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خير البريات، آخذًا بمنهج السلف الصالح رَضِوَانُاللهِعَلَيْهِمْ، ومن سار على سيرهم، إلى يوم الدين.

هذا هو دين رب العالمين، علم، وعمل، وثبات حتى نلقى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن الأعمال بالخواتيم، لا بد أن تستمر على الطاعة حتى تلقى الله بها، وإلا فنقصك بقدر تقصيرك، فمن ذهب منه الإيمان وذهب منه التوحيد؛ لحقه الذل والهوان في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة النساء:١٤٥-١٤٦].

فالرفعة في هذا الدين، والرفعة في متابعة النبي الكريم، والرفعة في ملازمة طاعة رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأسباب الرفعة كثيرة، إنما هذه إلماحات إلى أهم ما يتعين على الإنسان أن يسلكه في هذه الدنيا في دينه، حتى يرفع عند ربه، ويرفع على غيره، وإذا دخل الجنة نال المكرمات، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور:٢١]، يرفع العامل، وترفع ذريته؛ إكرامًا له وبشفاعته.

فعلينا عباد الله أن نسعى في إصلاح أنفسنا، وأن ندعو غيرنا إلى صلاح نفسه، وأن ندعو ربنا بالثبات على هذا الدين حتى نلقاه، رب ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠١]، وفي الدعاء الذي يكرر كل يوم: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح

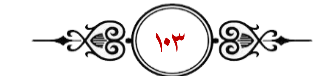


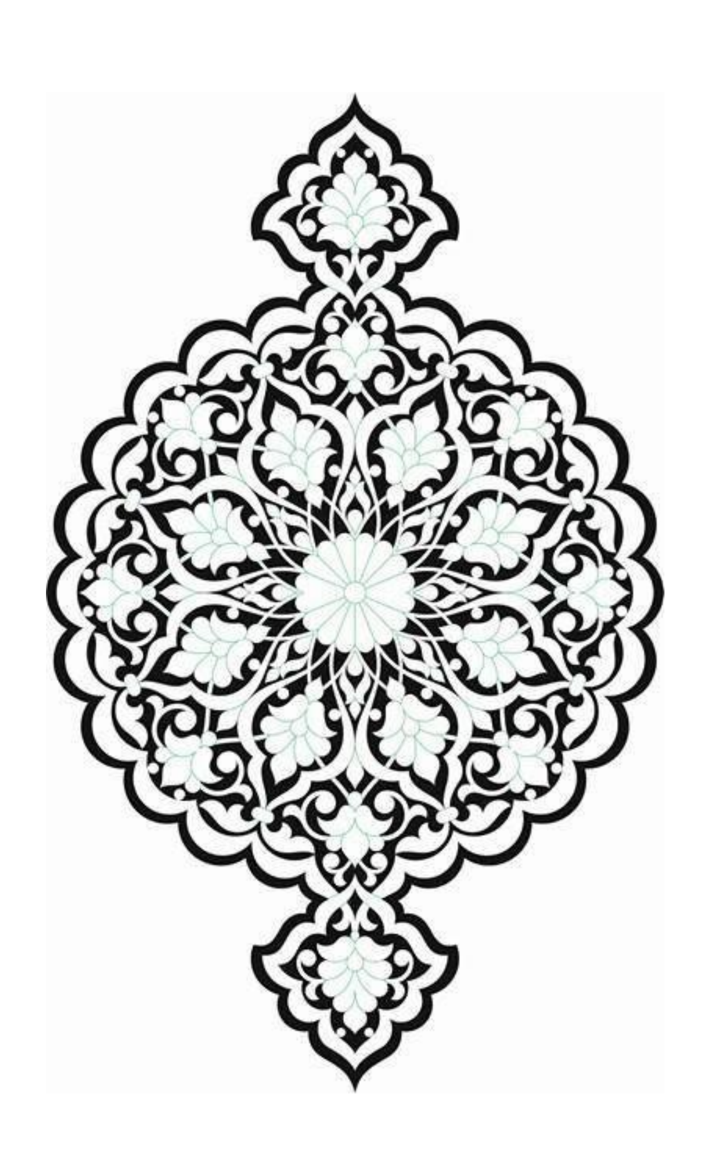
الدجال، فالإنسان يبقى على هذا الدين مستمرًا حتى تفارق الروح الجسد، والله المستعان.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

وكان هذا المجلس في الثلاثين من رمضان لعام (١٤٤٥ هـ).







الفهرس